C P R

« روايـــه »

ميرفت البلتاجي

obeikandl.com

C P R

" روايـــه "

اسم الكاتبة: ميرفت البلتاجي

تدقيق لغوي: محمد ربيع

تصميم الغلاف: عبير محمد

الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم

رقم الإيداع: ٢٥١٩٢ / ٢٠١٧

١١٤ عمارات جنوب الأحياء – الحي السادس – مدينة السادس من أكتوبر

موبايل و واتس : ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية، أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

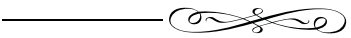

obeikandl.com

بينَ دُروبِ حياتي ضاعتْ مني أجملُ ذكرياتي!

سِرتُ بمتاهاتِ الدنيا أبحث عن ذكرى بلا دموع

ذكرى أشتاقُ لماضيها

أتلهّفُ لمذاقها وأحلُم بها

أعيشُها من جديد

أتنفَّسُها

فأغمضتُ عيني!

ميرفت البلتاجي

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

قالوا عن الرواية

كنت من المحظوظين الذين أتيحت لهم فرصة الإطلاع وقراءة الرواية التي أنت بصدد قراءتها الآن، للكاتبة الفريدة .. ميرفت البلتاجي.

الرواية شيقة جداً وإن كانت مرهقة ذهنياً جداً، فالتماسك برغم التفاصيل الكثيرة هو سر التشويق، كما أنك تلمس فيها بعداً شخصيا قد يلامس - في إعتقادي - حافة الجنون ، يمتزج في الرواية أكثر من لون روائي؛ فهي تارة خيال علمي وتارة فنتازيا تاريخية، وثالثة اجتماعية وهو أمر يجعل الرواية أيضا متجددة .الرواية فيها حوار طويل جدا وهذا من وجهة نظري ميزة وعيبا .الرواية حداثية بالرغم من سردها لأحداث في زمن ماض .وبرغم النهاية الكلاسيكية إلا أنها نهاية غير متوقعة .إجمالا..الرواية ممتازة فقد إستمتعت بقراءتها كثيرا .ناريسا، أماليا، ألا تلاقيا، وحارسة القصر.. روايات أيضا للصديقة المبدعة ميرفت البلتاجي.

أتمنى لك دوام التوفيق والنجاح يا إبنة "المنصورة" ... بلدي

الشاعر :محمد موسى في ٢٤/ ٠٨ / ٢٠١٧ م

obeikandl.com

المكعب الأول
(سندروتش فلافل!)

(كبرعم) صغير ما يزال مجرّد نتوءٍ على ساق،
لا يكاد يثير انتباهك، ولكنك لو لمسته عرضًا قد يسبب لك
وَخْزَةً خفيفةً، هي بمثابة صرخةٍ كبيرة في عالمه،
تملؤه عنفوانًا وإحساسًا بالوجود،
يَنتشي لبعض الوقت، ثم يعود لحيّز النسيان مرةً أُخرى،
فهو ليس أكثر من (برعم) صغير...
مجرد نتوء!

obeikandl.com

الزمان / صيف عام ٢١٠٨ م.
المكان / مستشفى الدكتور (بكري)، الخاصة.

وقف الطبيب يتأمل الأجهزة، أمامه بانهيار طاغٍ، وحماس ناري، وكأنّه يتابع (نهائيات كأس العالم لكرة القدم)...وبدأت أناملُه تجري على أزرار الأجهزة أمامه، بدون أن تنزل نظراته عن أحد شاشات (المونيتور) التي يتابعها بحماس متزايد...فجأةً، قطع اندماجَه دخولٌ عاصفٌ، لمدير المشفى...

تلوحُ على ملامحه علاماتُ الذنب، أمام نظرات المدير الغاضبة، التي تجولُ بينه، وبين شاشات (المونيتور)...وبنبرة متحكمة النبرات:

"هل تستطيع إخباري، ما الذي يحدث هنا يا دكتور (هشام)؟".

وقبل أن يبدأ (هشام) في الرد، قفزت حواجبُه دهشةً، عندما ظهر من خلف المدير رجلٌ ضئيل الحجم، يرتدي زي الأطباء يقول، وابتسامته تقطر خباثةً، وتشفٍّ:

."أخبرتك يا دكتور (بكري)، ولم تصدقني...ها هو الدكتور (هشام) وقد ضُبط بالجرم المشهود!".

تميّز (هشام) غيظًا؛ ضاغطًا على نواجذه:"لو سمحتَ، يا دكتور (بكري)، اترك لي الفرصة؛ للشرح!"...

هبّ الكائن المتشفي، قبل أن تلين عريكةُ المدير:

"أي شرح يا دكتور...تعليماتك كانت واضحةً تمام الوضوح...ممنوع العمل على هذا المشروع، وحتى إشعار آخر....المرضى كائنات من لحم ودم، وليست فئران تجارب!"...

مزيد من الضغط على نواجذ (هشام)؛ حتى شعُر، وكأن فكّيه، سيصعب فك التحامهما فيما بعد: "من فضلك، يا دكتور (حلمي)...هذا الأمر يخصني وحدي...وأنا وحدي متكفلٌ بنتائجه أيًا كانت ومتحمل للعواقب".

لَوَّح المدعو (حلمي) بإصبعه، في وجهه، بهجومٍ غاشمٍ: "أنت لا تصلح أن تكون طبيبًا، بل لا تصلح لحمل هذا اللقب النبيل!".

. المدير: "دكتور (حلمي)...توقّف...اتركني مع الدكتور (هشام)... وحدنا".

بنظرات ذهولٍ، وصدمة، هَتَف:

" ولكن يا دكتور...".

بنبرة لا تقبل التفاوض:

"دكتووور (حلمي)...سأكمل من هنا...شكرًا لك يا دكتور..."

انتظر كلاهما، حتى صفق (حلمي) الباب، خلفه، بعد أن حدجهما بنظراتِ غَيْرة، وحقد واضحين...التفت المدير ل(هشام)، بانتظار دفاعه...

تنحنح (هشام)، ثم ملأ صدرَه، بالكثير من الهواء، وهو يجيل النظر لشاشات (المونيتور)، أمامه، والتي يصل ارتفاعها للسقف:

.دكتور (بكري)...هذا...".

ضرب دكتور (بكري) بقبضته على طرف الطاولة، بحدّة:

."أعلم أنه حلمك اللعين...ولكنك بكل تهوّرٍ، واستهتار، تُمسك بمِعْول، وتنسفه من جذوره، قبل أن تسمح له بالتنفس...ألم نتفق على التريّث؛ حتى نحصل على براءة الاختراع؟".

."انتظرتُ (خمس سنوات)...وقبلها (عشر سنوات) حتى انتهيت منه!".

."وبكل طيش وتهور، تضيع مجهود كل هذه السنوات!"...

غربت عيناه نحو حُلمٍ، ما يزال يطويه خياله:

."اشتقت لمذاق نجاحي يا دكتور".

ثم التفت نحو شاشات (المونيتور) يتأملها، بعشقٍ من نوع خاص جدًا هاتفًا:

."اشتقت لاحتضانه"...

اتّشحت ملامحُ مديره بالغضب، وهو يلوح بذراعيه:

. "ظننتك أكثر وعيًا وتفهمًا...أنت حتى لم تحصل على موافقة أهل المريضة...وأمثال الدكتور (حلمي)، بانتظار هفواتك الغبية هذه؛ لتمزيق مشروعك، قبل أن يخطو أي خطوات نحو مستقبله الواعد".

هتف (هشام) بنبرة تأكيدٍ، وثِقَةٍ:

. "أقسم لك أنني سأحصل على الموافقة، قريبًا...ولكن أرجوك، ألقِ نظرةً على اكتشافي الأخير...أرجوك يا دكتور...تجاهل، ولو للحظات، أنك مديرُ المشفى، وتذكر فقط أنّك عالم عاشق الاكتشافات العلمية"...

زَفُرَ (بكري)، بضيق، ثم أغمض عينيه مُغَمْغِمًا:

."لو كان اكتشافك هذا مجرد ادعاء؛ لامتصاص غضبي فَوَفِّرْه!".

هتف (هشام) بحماسِ ولدٍ صغيرٍ، اشترى له والده لعبته المفضلة:

."ألق نظرة، ولك الحكم، وسأرضى بأي عقاب منك، لو كان الاكتشاف أقل من خمس نجمات على الأقل"..

obeikandl.com

هز الدكتور (بكري) أكتافه، وكأنه يحاول مقاومة تصديقه، فاستغل (هشام) تردده، و التفت ليضغط على العديد من الأزرار ثم أشار لأحد أجهزة (المونيتور):

."انظر لهذا المكعب"...

ارتفع حاجبي (بكري) بدهشة:

. "مكعب!...هل أعدت تسمية شاشة (المونيتور) على هواك الخاص، ضاربًا بعرض الحائط، ما تعلمناه منذ دخولنا المدرسة، وحتى التحاقنا بكلية الطب!؟".

اشتعلت عينا (هشام)، بألقِ الحماس، وهو يشرح باستفاضة:

. "ليس بعد الآن!...هذه ليست كأي شاشات (مونيتور)...هذه (مكعبات الذاكرة)...كل مكعب، يحوي ذكرى خاصة جدًا".

قلب (بكري) شفتيه:

."وما الجديد يا عبقري!...هذا ما أعرفه".

. "الجديد: أنني وجدت بأحد هذه المكعبات، ذكرى تعودُ للسنوات (الخمس الأولى)، من حياة المريضة...هل تصدّق!...منذ بدأت تجاربي، وكل ما حصلتُ عليه، ذكريات جديدةٌ، تعود للسنوات الأخيرة، في حياةِ المريض...ولكن اليوم، عثرت على ذكرى خاصةٍ جدًا...حيث كانت عمر المريضة (خمسة أعوام) فقط"...

انتقلت عدوى الحماس، للدكتور (بكري) وهو يطالع المكعب بشغف:

."حقًا...وهل اطّلعتَ على الذكرى؟".

تراقصَ حاجبا (هشام)، محاولًا إخفاء نبرة الانتصار ، لاستطاعته الاستئثار باهتمام مديره أخيرًا:

."لا...ليس بعد...ما رأيك أن نراها سوية؟".

هَمَّ (بكري) الرد بالإيجاب، ثم تسلم عقل المدير القيادة من جديد:

."ليس قبل الحصولِ على موافقةٍ خطية، من أقارب المريضة".

زَفُرَ(هشام) بإحباط:

. "أنت تعلم أنهم منذ تركوها في العنايةِ المركزةِ، لم يعودوها إلا مرةً واحدة، لدفع الحساب...وكان هذا منذ شهر".

. "لا بأس، سأجري اتصالًا عاجلًا بهم، وأدعوهم للقاء...أغلقْ هذا الشيء، وانتظر الموافقة...وحتى بعد الموافقة...كل ما سيتم، وما سيُكتشف، سيكون طيَّ الكتمان التام...هلا فعلت يا...دكتور!"...

أطرق رأسه بإحباط:

."تحت أمرك يا دكتور"...

بعد يومين...

طرقاتٌ على باب غرفة مدير المشفى، وصوت المدير الوقور يدعوه بالدخول:

."تفضل يا دكتور (هشام)".

دخل (هشام)، وأوماً بتحيةٍ للدكتور، حتى لاحظ امرأةً تجلس ساهمةً، أمامه، لم تلتفت لدخوله:

."هل طلبتني يا دكتور؟".

أشار الدكتور (بكري) للمقعدِ الخالي، أمام المرأة:

obeikandl.com

."تفضل بالجلوس، يا دكتور (هشام)"...

بعد نظرة فضوليّةٍ نحوها، امتثل (هشام)، وجلس يصبُّ اهتمامه على مديره الذي بادره:

."هذه مدام (شيرين سليمان)...ابنة المريضة (نيَّرة البهجوري)".

ارتفع (الأدرينالين)، في أوردته؛ ليشهق (هشام)، بحماسٍ، متناسيًا حالة الشرود التي تعيشها الضيفة، ومد يده، يصافحها بحفاوة:

."أهلًا وسهلًا ...سعيدٌ جدًا بلقائكِ...فرصة سعيدة حقًا لقد...".

ابتلع لسانه، عندما خرجت من حالة الشرود؛ لتحدجه بتلك النظرة المحتقرة...حَمْحَمَ (بكري) متداركًا:

. "يا دكتور (هشام)...لقد أطلعتُ (المدام) توًّا، على حالة والدتها...وعلمتْ أن حالتها لم تتغيّر، ولم تزل في (غيبوبة تامة)...بما يعني أن الفرصة، ليست فرصة...ولا سعيدة أبدًا".

احتقن وجه (هشام) بإحراج:

." أعتذر..لم أقصد...أنا كنت...".

رفعت يدها لتمنعه من الإسهاب؛ وأردفت، بنبرة حازمة:

."أخبرني الدكتور (بكري) عن اختراعك...ولكنني حتى الآن، لا أعرف بما سيفيدني، أو يفيد والدتي!".

عادَ (لهشام) هدوؤه، وهو يرتب كلماته، تعمد التركيز على عينيها البندقيتين، وهو يسألها باهتمام واضح:

. "ألا ترغبين بمعرفة أكثر الذكريات، التي تحتفظ بها والدتكِ في عقلِها الباطن...والتي على ما يبدو، تركت تأثيرًا كبيرًا عليها، فاحتفظ بها العقلُ الباطن بعيدًا عن الإتلاف والنسيان كغيرها من الذكريات؟".

هَزَّتْ رأسها بتفكير:

. "لا أعرف...هل حقًا تمكنتَ من ذلك؟...ولكن كيف يمكنني التأكد، أنك لا تختلق كل هذا؟"...

. "من المؤكد، أن بعض الذكريات الخاصة بها، سيكونُ منها تفاصيل لا يعلمها إلا أفرادُ العائلة...أنتِ وحدكِ لكِ الحكم... إن كانت ذكريات أمكِ حقًا....أم أنني أختلق هذا!".

بعدم تصديقٍ، هتفت:

."هل تُصَدّقُ ما تقول، حقًا؟...أي طبيب أنت؟...أم أنك ساحر ما؟".

ثم التفتتْ للدكتور (بكري) بحدة:

. "دكتور (بكري)...هل تتعاملون مع المرضى هنا كفئران تجارب لأبحاثكم؟!".

انتفض (بكري) يحدج (هشام)، بتوعد:

. "مدام (شيرين)، هذا لا يحدث، بالطبع، نحن في مشفى محترم، وسمعتنا كالماس في المحافل الدولية!"...

انتفضت، واقفةً، بانزعاجٍ واضح:

. "أنا أرفض استخدام (أمي)، واستغلالها؛ بأية صورة، ولن أضع أي توقيع على أية ورقة؛ لتسهيل تجاربكم السخيفة، ولو وصلت إليّ أية

معلومات تفيد عكس هذا؛ سأرفع عليكم قضية تقعدكم في بيوتكم مفلسين، هل كلامي واضح يا دكتور!؟".

غَمْغَمَ، بامتعاضٍ:

."تمام الوضوح يا مدام!".

شمخت، بأنفها المتغطرس، وغادرت الغرفة.

تبادل الطبيبان النظرات الحائرة، ثم هتف (هشام):

."ماذا حدث توًّا؟ ولماذا كل هذه العصبية من أجل امرأة ألقت بها في المشفى، وعلاقتهما اقتصرت على الشيكات التي يتم دفعها عن طريق المحامي؟!".

."لقد سمعت، جيدًا يا (هشام)...لا يمكنك استئناف أبحاثك".

تهالك (هشام) على المقعد، وكل عالمه من الأحلام تتحطم أمام عينيه على التوالي.

."ولكن هذا مستحيل...دكتور (بكري)!".

."ربما عليك البحث، عن حالة أخرى، يكون أهلها متساهلين في التوقيع على الأوراق...(هشام)...أحذرك!...لا يمكنك أن تفكر بالعمل خلسة...أغلب ظني أن هذا المدعو (حلمي)، أخبرها بطريقة ما عما نحن بصدده...لقد جاءت إلى هنا مشحونة بالفعل!".

."نعم... لاحظت هذا...بعد إذنك يا دكتور".

."(هشام)...لا تيأس!"...

ضَمَّ شفتيه، وهز رأسه بامتعاض، ثم اتجه نحو الباب وغادر منكس الأحلام!

obeikandl.com

بعد عدة أيام....

وقف فرد الأمن لتحية الطبيبَ الشاردَ، الذي لم يلحظ وجوده...كالإنسان الآلي، كانت تحركاته، منذ فشل في الحصول على التوقيع الذي سيحول أحلامه لحقيقة...وصل للمصعد، وضغط على زر الصعود لأعلى، دون أن يتأكد فعلًا إن كان هو الطابق المطلوب...وقف مطرقًا حتى توقف المصعد، وفتحت أبوابه الأتوماتيكية، وبدأ بالسير في الردهة الطويلة الهادئة تمامًا، كما هو المعتاد في هذا القسم من المشفى...أوقفته إحدى الممرضات:

."دكتور (هشام)، كنت أرغب أن توقع لي على...".

ولكنه لم يقف، وتركها، ذاهلة مكانها، واتجه لغرفته... أو مقبرة أحلامه كما يطلق عليها مؤخرًا!".

أغلق الباب، خلفه، وبدون أن يشعل الإضاءة، وقف مستندًا على الباب بظهره، يتنهد بصوت مسموع...

."هل أنت معتاد على العمل في الظلام؟!"...

شَهِقَ بفزع، وهو يسرع بالضغط على مفتاح الإضاءة؛ ليفاجأَ بها.

."من أنتِ؟...وكيف دخلتِ إلى هنا!".

حَدَّقَتْ بوجهه المحتقن للحظات؛ فأعاد سؤاله بحدةٍ أكبر...أجابته بصوت رقيق يقطر براءة:

."مِن الباب"...

."الباب؟ ولكنه كان مغلقًا!"...

."كان مفتوحًا، عندما دخلت"...

حدجها، بأفكارٍ مشوشةٍ، ثم هتف:

."مفتوح أم مغلق...مَن أنتِ، وماذا تفعلين هنا؟".

. "أخبرتني أنك بحاجة للحصول على موافقة خطية؛ لاستكمال أبحاثك".

حدجها بارتياب:

."من هي التي أخبرتك؟".

."(مدام شيرين)...أمي...".

."هل أنتِ ابنتها؟".

أومأت:

."اسمي (نيَّرة)...(نيَّرة عليّ)".

أردف بارتياب:

."وأين الأوراق؟".

. "سلمتها للدكتور (بكري)...أو وضعتها على مكتبه، بمعني أكثر وضوحًا...لا تصدقني؟...يمكنك الذهاب له بنفسك، والتأكد... كما أنني لا أكذب أبدًا!"...

لوّح لها بإصبعه:

."ابقي مكانكِ، لا تتحركي...سأذهب؛ لأتأكد بنفسي!"...

."لن أذهب لأي مكان"...

obeikandl.com

اتجه نحو الباب، ثم عاد إليها بسؤال أَلَحّ فجأة على تفكيره:

."كم تبلغين من العمر؟".

أسبلت رموشها الطويلة، وهي تهتف بصوتٍ ملول:

."ما يكفي، لأصل هنا، وحدي بدون مرافق".

ضحكتُها الرقيقة الصادقة، أشاعت العبث في أفكاره مرة أخرى!...تركها، مضطرًا، راكضًا باتجاه غرفة الدكتور (بكري)... اقتحمها، حتى دون استئذان، ووقف أمام الطبيب الأكبر سنًا، لا يستطيع صياغة جملة مفيدة من لهاثه المتقطع...فأنقذه الطبيب ملوحًا بالأوراق:

."نعم...لقد وصلت الأوراق، موقعة باسم السيدة (شيرين) بنفسها!".

هتف (هشام)، أخيرًا من خلال لهاثه:

."وكيف وصلت؟".

."عن طريق المحامي بالطبع".

ثم أردف، بابتسامةٍ، متواطئةٍ:

. "تستطيع استكمال أبحاثك عمليًا، يا دكتور... سأُنهي التوقيع على بعض الأوراق؛ وسألحق بك، إياك أن تبدأ بدوني".

استمر تحديقُها بمكعبات الذاكرة، تتأمل كل تفصيلة، بفضولٍ صامتٍ...ضغط على أحد الأزرار؛ فارتفع ستار من على أحد الجدران؛ ليكشف عن جسدِ (جدتها)، المُسَجَّى بين العديد من الأسلاك التي تحيط بها...وبعضها يتصل بمجسات لاصقة على جبينها...

أجاب (هشام) عن التساؤل المؤلم في عينيها:

."أؤكّد لك أنها لا تشعر بأي ألمٍ...الجهاز يمتصُّ الذكريات من عقلها الباطن، ولا يسبّب لها أي ألم"...

ارتاحت العبرات، بين رموشها، وهي تومئ له، وتهتف بغُصّة:

."لم أعتد رؤيتها، بدون حول ولا قوة...كانت دائمًا شعلة نشاط، تنبض بها حياتنا!"...

ابتلع (هشام) سؤاله، عن فتورهم الواضح بعد دخولها المشفى،ما رأيك أن تشاركينا تجربة الدخول لذكرياتها؟"

صفقت بيديها بسعادة وهي تقفز بحماس:

"حقًا...هل ستسمح لي"

هز أكتافه وهو يقلب شفته السفلى بلا مبالاة:

"لم لا، تستحقين حلوان كبير على الأوراق التي وقعتها والدتك"

أومأت وعيناها تضجان بكل ألوان البهجة، تأملها لحظات باستغراب مشوب بحماس مماثل، ثم

التفت لدخول الدكتور (بكري) والذي أحكم إيصاد الباب بالمفتاح، وأشار ل(هشام):

."حتى لا يتم إزعاجنا... ابدأ الآن!"...

أشار (هشام) ل(بكري)؛ فتقدم، وبدأ بوضع مجسات مشابهةٍ على جبينه، في مناطق معينة...استسلمت (نيَّرة) ل(هشام)، يضع لها مثله...ثم وضع لنفسه، قائلًا:

."الآن، الجميع يغمض عيونه...سيكون الأمر كالحُلم...سترون الأحداث أمامكم كفيلم (فيديو)... تستطيعون مشاهدته، ولكن الأشخاص في

(الفيلم) لا يشعرون بكم...ربّما ترون ومضاتٍ سريعةً، قبل أن تثبت الذاكرة...وقد تشعرون بصداعٍ خفيف...سنعود حيث كان عمرها (خمس سنوات)...هل نبدأ؟".

أومأ الجميع بالموافقة...فضغط على الأزرار، وأغمض عينيه، بانتظار ما سيحدث، بترقبٍ وشغف.

وقفوا، يتبادلون النظرات بدهشةٍ؛ فقد تغيرت كل معالم الغرفة حولهم، وانتقلوا للشارع...وليس أي شارع...شارع قديم واسع، كما في أفلام الأبيض والأسود القديمة... أصوات صهيل الخيول تتجمع في ساحة دائرية كبيرة، وكل حصان معلق به عربةٌ من النوع القديم التي كانت تظهر في (أفلام الريحاني)...كان مشهدًا حيًّا، بكل ما فيه...حتى الروائح الكثيرة المختلطة...رَوَثُ الخيول مع التبن، مع الدخان المتصاعد من (أحجار الجوزة) المتراصة أمام (القهوة) لسائقي العربة بانتظار الزبون...ملابس الناس تبدو، وكأنها أيضًا من أحد (أفلام الريحاني).

فجأةً، اقتحم المشهدَ طفلةٌ صغيرةٌ، متعلقةٌ بيد والدتها التي تجذبها بشيء من القسوة، وهي تُتَمْتِمُ بكلماتٍ لم نسمعها حتى اقتربتا منهم:

. "اسمعي...إياكِ أن تنسي كلمة مما أخبرتكِ بها...عند دخولكِ على (جدكِ)، إياكِ أن تطلبي منه أي طلب...وإذا عرض عليكِ... ارفضي بأدب...هل تفهمين؟".

هزت الطفلةُ رأسَها، وعيناها مُغرَوْرِقَتان بالدموع:

."نعم، (ماما)... أفهم".

. "هذا ما قلتِه المرةَ الماضية، ورغم ذلك، طلبتِ منه بكل وقاحة (سندوتش الفلافل)، وكأنكِ مسكينةٌ جائعةٌ، لا تجد الطعام في بيتها!...أقسم أن أذيقكِ العذابَ ألوانًا، لو تفوه فمكِ هذا، بأي طلب من (جدكِ)، وليس هذا فحسب...إياكِ أن تجلسي على ساقه، كما تفعلين في كل مرة، لم تعودي صغيرة على هذا التصرف الطفولي، صافحيه بأدب، ثم اجلسي على أحد الكراسي مثل أي فتاة كبيرة".

أومأت الصغيرة ذاتُ الملامح الطفولية الجميلة، ورائحة الفلافل المقلية التي تفوح في الأجواء، تكاد تسلبها عقلها الصغير...كيف تخبر أمَّها أنها تشتاق لساندوتش الفلافل هذا منذ آخر زيارةٍ لجدها العزيز، قد لا تكون جائعةً حقًا، ولكن ما أن تصل إلى هذا المكان، وتتعلق عيناها بالمطعم المقابل لمحل الأحذية المملوك لجدها، فتجد لعابَها يسيل ولا تستطيع المقاومةَ، مهما كانت تهديدات والدتها بالعقاب في كل مرة...ولكنها على استعداد، لتحمّل الضرب، مقابل الحصول على (سندويتش الفلافل) هذا!.

دخلت الفتاة وأمها، المحلَّ، فدخلوا خلفهما، تكادُ قلوبهم تتفطر على الصغيرة الحائرةِ بين تهديد أمها بالعقاب، وعيناها المتعلقة، ببائع الفلافل في الجهة المقابلة.

تلقّاها جدُّها، بترحاب، وضمها بين ذراعيه الكبيرتين، وقبلها بحبٍّ، لتشعر بلحيته الشائكة تكاد تثقُب وجنتيها الناعمتين، صافح الجدُّ أمَّها، وهو يصبُّ جلَّ اهتمامه على الصغيرة التي أجلسها على ساقيه رافضًا تمنعها، بقهقهته الحنون...وجاء السؤال التي كانت تنتظره وتخشاه، بينما عينا أمها تبرقان بتهديدٍ، وتذكير:

."ماذا تريد صغيرتي الجميلة؟".

أطرقت برأسها، هاربة من توعد أمها، ثم هزت رأسها بالنفي، فأعاد جدها السؤال:

."هل أُحضر لكِ عصير قصب، أم كوكاكولا؟".

رفعتْ الفتاةُ رأسها، وعيناها تبرقان بجرأة، وهي تشير بيدها نحو (صانع الفلافل):

."بل أرغب بساندوتش فلافل!".

جزت أمها على أسنانها، هاتفةً بغيظ:

."بنت!...ألم تتناولي طعامك قبل الخروج!".

نهرها الجدُّ، محيطًا ذراعه بالصغيرة:

. "اتركي الفتاة تطلب ما تريد...إن لم تطلب من جدها...ممن ستتطلب؟".

ثم هتفَ بعلوّ حسه الجهوريّ، ينادي على (صبي المحل):

."يا مصري...يا مصري...خذ، تعال"...

ثم نَقَدَ الصبيَّ عدةَ قروش:

."هات لحفيدتي العزيزة سندوتش فول وفلافل، وعصير قصب".

ركّزت الصغيرة عينيها على ملامح جدِّها العجوز المتغضنة، تتساءل ببراءةٍ عن السبب الذي يدع أمَّها تحرمها من هذه اللذة المفرطة...لذة توسّد ساق جدها الكبيرة، لذة إحاطته لجسدها الصغيرِ بذراعه الحامية، والأكبر لذةُ تلبيته لطلبٍ بسيط مثل (ساندوتش الفلافل)!

obeikandl.com

عندما وصل (الساندوتش)؛ وقفت الصغيرةُ، وأخذته بلهفةٍ، ثم جلست على أحد الكراسي، تشمُّ عبقه بعمقٍ، لتتخلّل رائحتُه الفواحةُ كلَّ خلاياها، قبل أن تنقضّ عليه بأسنانها الصغيرة، تلتهمه باستمتاع، مدركةً، بغير اهتمام كبيرٍ نظراتِ أمها المتوعدة، ولسان حالها يقول:

."سوف تضربني عاجلًا، أو آجلًا، إن لم يكن هذه المرة فمرة أخرى...لمَ لا أستمتع بهذا المذاق الشهي لفلافلي العزيزة!؟".

فتح (هشام) و(بكري) أعينهما، في وقت واحد؛ ليهتف (بكري) بانبهار:

. "هذا رائع يا دكتور...رائع بكل معنى الكلمة...أنت اكتشاف...أنت مخترعٌ...سنحصدُ الملايين...اسمع نصيحتي، تكتم على كل الأخبار حتى تدوّن كلَّ أبحاثك بسرية تامة!"...

."كما تأمر، يا أستاذي!"...

. "سوف أذهب الآن...لقد تأخرت على إجراء عملية جراحية...سنستكمل مناقشتنا، فيما بعد...لا تنس إغلاق الباب جيدًا بالقفل"...انتبه بعد خروج الدكتور (بكري) أن صديقته الصغيرة، لا تزال ساكنة، ولم تتحرك، اتجه نحوها بقلق وأمسك يدها، فتحت عيناها تنظر لمن حولها بدهشة...ساعدها بانتزاع المجسات عن رأسها، وهي تحدق ب(هشام)، باستغراب شديد:

."هل أنتِ بخير؟".

."ولكن...كيف؟".

أومأ (هشام)، بنظرةِ انتصارٍ فخورةٍ:

."هل معلومات المكعب صحيحة؟".

. "تقـ...تقريبًا...إلا إذا كنت أجريت تحريات موسعة لتعرف ماذا كان يعمل والدَ جدتي... ومحل الأحذية...وكل هذه التفاصيل...يا إلهي...هل كانت هذه جدتي حقًا؟"...

سالتْ دموعُها وهي تهز رأسها، بعدم تصديقٍ لما رأته توًّا...ثم رفعت رأسها بلهفة:

."هل يمكنني رؤية مكعب آخر؟...أرجوك!"...

تردّد(هشام)،ثم هزرأسه، بأسف:

. "مرةً أخرى...سنكرّر التجربة يا آنسة (نيَّرة)، طالما هذه رغبتكِ...ولكن في يومٍ آخر...كما أنني لابد أن أدرس تأثير ما حدث توًّا، على جدتكِ...سوف أتصل بكِ؛ لأحدد معكِ موعدًا"...

هزت رأسها بشرودٍ، وهي تجيل النظرات بين جدتها المسجاة في الغرفة الأخرى، وبين الطبيب ثم هتفت بانزعاج واضح:

. "لا...لا تتصل... أعني أنني لا أملك هاتفًا نقّالًا، سوف تجدني هنا عندما تكون مستعدًا مرة أخرى"...

فتح لها الباب؛ حتى غادرت، ثم أغلقه، وأفكار غريبة تعبث بعقله، وعينا الفتاة لا تفارقانه!

المكعب الثاني
(تائهة)

ما يزال (البرعم) مجرد نتوء، ولكنه أصبح نتوءًا
ذا قَلَنْسُوَةٍ كالشوكة، يحاول الخروج برأسه من احتضان
الساق الأثير له، وما إن يحاول حتى يجر نفسه في غابة
من السيقان التي لا تبالي بوجوده، ربما ترهسه في طريقها
دون أن يسبب لها أي عائق، حتى بات الصغير يخشى
مجرد التطلع خارج قَلَنْسُوَتِه،
ولكن نداء الطبيعة سيحتم عليه يومًا التغلب على خوفه!

رَحَّبَ بضيفته باستغراب شديد:

. "عندما أخبرتني أنك ستكونين موجودة عندما أكون جاهزًا للمكعب الثاني، لم أصدق أنك حقًا ستفعلينها... آنسة (نيَّرة)...آنسة (نيَّرة)...هل أنتِ بخير؟".

تركته واقفًا واتجهت نحو النافذة الزجاجية الضخمة تتطلع لجدتها التي بدت وكأنها نائمة بكل وداعة:

هزت رأسها بدون أن تتطلع بوجه محدثها:

. "ملامح تلك الطفلة الصغيرة، لا تكاد تبرح مخيلتي...مزيجٌ رهيب من البراءة والتمرد!".

. "وما الغريب؟!...كلُّ الأطفال في هذا السن يحملون من البراءة والتمرد بنسب متفاوتة!".

رفعتْ رأسها تتطلَّعُ بعيني الطبيب...لاحظ أنّها تملك عيني أمِّها، بكل براءتها...ولكن حلَّ الانكسارُ مكان نظرة التمرد:

. "جدتي كانت طيبة دائمًا...ولكننا لم نعهدها متمردة أو مشاغبةً...تلك الطفلة بعيدةٌ تمامًا، عما كانت عليه جدتي التي نعرفها".

. ربما لم تعرفيها قطّ...أو كفايةً، أو...تغاضيتِ عن معرفتها".

أشارت نحو الجهاز:

. "ألن ندخل مكعبًا آخر...أم سننتظر؟".

الدكتور (هشام) مدّ يديه ليضع المجسات حول جبينها مُتَمْتِمًا:

. "الدكتور (بكري)، اعتذر على مضضٍ...اضطر للسفر لحضور مؤتمرٍ بالغ الأهمية، وإلا ما كان فوّت هذه الفرصة"...

تطلّعتْ للجدار الزجاجي، حيث ترقد جدتُها...امتدتْ أناملها في الفراغ كما لو كانت تتمنّى لمسَها، فقط...

."هل أنتِ مستعدة؟".

."نعم...لأي زمن سنذهب هذه المرة؟".

تطلع للمكعبات أمامه متمتمًا:

. "دعيني أرى...سنختار أكثر المكعبات وميضًا...هذا يعني أن الذكرى قديمة ومؤثرة جدًا"...

سألته بفضول:

."والمكعبات ذات الومضات الخافتة؟".

. "غالبًا، تكون ذكرى باهتةً، ليست هامة بطريقةٍ مؤثرة...هل أنتِ مستعدةٌ...المكعب سينقلنا، (سنتين) بعد الذكرى السابقة...مما يعني أن جدتك تبلغ من العمر (سبع سنوات)...أغمضي عينيكِ".

امتثلتْ لأمره، متلهفةً لدخول عالم جدتها...أم نقول ذكرياتها؟".

فتحت عينيها على رائحة عبقٍ مميزةٍ تخترق مجاري أنفاسها...

كان المشهد في الشارع، أيضًا...ولم يكن المكان السابق نفسه...ما يزال يسيطر على الأجواء نزعةُ (أفلام الأبيض والأسود)...

الهواء يبدو نقيًا، ولا وجود للزحام، رغم أن محطة الحافلات بجوارنا...إحدى الحافلات كانت تبدو مضحكة، وكأنها هاربة من (فيلم كارتون)، بفمها المفتوح...عفوًا... أقصد غطاء مُحَرِّكِها...حركة السير كانت سريعة...انتبهت لهِزَّةٍ من ذراعي؛ لأكتشف أنني سرحت في هذا العالم، ونسيت ما أحضرني إليه...

obeikandl.com

كان (هشام) يوجِّهُ انتباهي لرجلٍ، في عقده الثالث تقريبًا، ممسكًا بطفلتين تبدوان كلعب العرائس، بأثوابهم القصيرة، وشرائطهم الحمراء التي تزين شعورهن الناعمة المنسدلة على جباههن...عرفتها، كانت أحداهما، (جدتي) وهي الكبيرة...ولا شك أن الثانية، هي (أختها) التي كان يبدو عليها الاستمتاع بالمكان والمناظر من حولها، بينما يبدو على جدتي (البؤس الشديد)، وكأنها على وشك البكاء، وقد اهتزت شفتُها السفلى بتهديدٍ، ولكنها تحاول التماسك...

أخيرًا، توقف والدهما، وانحنى نحوهما يحدثهما بنبرة جادة!...

اقتربنا؛ أنا، و (هشام) لننصت لما يقول:

."(نيَّرة) و (سلمى)...لن أتأخر...قفا هنا (خمس دقائق) فقط، سأشتري فاكهةً من الفاكهاني، في الجهة الأخرى من الشارع...لا تذهبا مع أي أحد...وأنا لن أتأخر...(نيَّرة) أنتِ الكبيرة، اعتني بأختكِ، ولا تفسدي الأمر مثل كل مرة؛ لأعود وأجدك باكية، وقد تجمهر الناس حولك"...

كانت جدتي، ما تزال تحاول التماسك، وهي تهتف بنبرة، مزقتها نياط البكاء المكتوم: -"بابا...لا تتركنا!".

اشتدت ملامح الأب بشراسة، وهتف بقسوةٍ، اقشعر لها بدن الصغيرتين:

."أخبرتكِ أنني لن أتأخر ، وسأعود فورًا...ما المشكلة؟ ألا ترين أختك الصغيرة هادئةً ولا تثير المشاكل مثلكِ!...(سلمى) اعتني بأختكِ!"...

أمسكت (سلمى)، بيد أختِها، وهزت رأسها بالموافقة، بينما بدأ الأب يبتعد تدريجيًا...وسرعان ما انفجرت الصغيرة (نيَّرة) في البكاء...كانت تعلم

أنه سيعود مثل كل مرة، ولكنها لم تستطع مقاومة هذا الشعور الجارف بالفراغ والخوف، وكأن الدنيا كلها تخلت عنها...وكلما حاولت الاستجابة لأختها كان الخوف داخلها يزداد سعيره، توحشًا...

دمعت عيناي، وانفطر قلبي، وتمنيت لو ركضت نحوها، وضممتها لصدري؛ لتطمئن، ثم أذهب لوالدها وأخبره بصراحة عن رأيي في قسوته، وعدم مراعاته لابنته التي لم تذنب لشعورها بالخوف الشديد؛ في البقاء وحيدة.

عاد الأب بعد (خمس دقائق)، كما وعد؛ ليجدها منفطرة في البكاء، بينما أختها هادئة، تمامًا، تستمع بنشوى لمديح والدها لها، ثم لتعنيفه لأختها البكّاءة الخائفة، ثم ذهب ثلاثتهم لاعتلاء أحد الحافلات ذات الفم الفاغر.

."آنسة (نيَّرة)!"...

فتحت عينيها الدامعتين، ثم التفتت للجدار الزجاجي، تتأمّل جدتها، بسيل من الدموع:

. "مرةً أخرى، أشعر أنني لم أكن أعرف أن جدتي تهاب الوحدة لهذه الدرجة...يا إلهي...كم من مراتٍ، لا تحصى تركناها!...كم من مراتٍ حاولت مجاذبتي أطراف الحديث، ولهوتُ عنها بمحادثاتي على (التليفون)، أو انشغلتُ بمشاكلي التافهة!".

ثم استدارت ل(هشام)، المتابع باهتمام:

."هل ستسامحني؟".

. "إنها أمٌّ...لابد أنها سامحَتْكِ، حتى قبل أن تخطئي...هوني على نفسكِ!".

."متى سنستطيع رؤية مكعب آخر؟"...

."سيتصل بكِ الدكتور (بكري)...أو...أعطني أي رقم هاتف قريب منك، وسأقوم أنا بالاتصال...إن لم يكن لديكِ مانع"...

مرة أخرى ترفض بشدة:

."لا...لا... سأكون متواجدة في الوقت الذي تريدني فيه".

تأمّلَ كلماتها الغامضة، وعندما همَّ بالرد عليها كانت قد اختفت!

obeikandl.com

المكعبُ الثالثُ
(الأُرجوحة!)

أخرج أيها (البرعم الصغير)، لقد حان الوقت لتكابد الخوف
وتشكر نعمة الأمان،
أخرج واصنع لك مخالب ترد بالأذى
على من سيحاول أذيَّتكَ، فهذا العالم لن يرحم براءتك،
لن يتزين لطهر عينيك، لن يشفق على وداعتك،
حان الوقت لتلتقي بالقبح والقسوة والوحشية وجهًا لوجه،
وبدون حجاب!

obeikandl.com

ترى أيّ عالمٍ تعيشين في برزخه الآن؟ هل هو كما نراه في خيالنا: عالم دخاني تقفزين فيه من غيمة إلى غيمة بكلِّ سعادةٍ، أم عالم لم يدر بخيالنا أو ربما نخاف أن نفكر بوجوده، عالم ذا قضبان سجن أبديٍّ تتوق الهروب من أسره!....

."هل ما تزال كما هي؟".

أومأ رغم أنها لا تراه فقد كان كل تركيزها على مراقبتها من خلف الجدار الزجاجي...ثم استدرك مجيبًا:

."نعم مع الأسف...تستطيعين الدخول لها و....".

استدارت بحدة:

."لا...!".

أخفضت عينيها بشعورٍ ملتحف بالذنب من حِدّتِها الغير مقصودة، وأردفت بنبرةٍ أكثرَ هدوءًا:

. "لننجزْ ما جئت من أجلِه...ولكن قبلَ أن نبدأ، سأخبرك بأمرٍ...لست أدري إن كان ما سأقوله مفيدًا لك أم لا...أو حتى إن كان صحيحًا!"...

ظهر عليه الاهتمام وهو يعتدل بانتباهٍ أكثر...تلاعبتْ بأصابِعِها بتوترٍ غريبٍ على فتاةٍ في عمرِها تملك شخصيَّتَها الجادة غير المترددة...أسهبت بعد تفكير:

."أنا...أنا أشعر بكل إحساسِ جدتي أثناء وجودنا داخل المكعب".

ضاقت عيناه وكأنه يراجع كل بياناته وتجاربه المخبرية:

وسألها بخفوت، وكأنها كائن دخاني سيختفي إن رفع صوته:

."لماذا ظننتِ أنكِ تشعرين بإحساسها؟".

opeikanovel.com

ارتفعت حدة نبرتُها:

."أنا لا أظنّ...أنا متأكدةٌ حتى أنَّني...يمكنني شرحَ كلِّ ما تشعر به وقت حدوثه، بل وكل فكرة خطرت برأسها!".

أسرع نحو جهازِه يدقّ على بعض الأزرارِ بلهفةٍ شديدةٍ فسألتهُ:

."ماذا تفعل؟".

."أدوّن ما أخبرتني به توًّا...هذا...هذا عظيم...بل رائع!"...

."لقد ظننت أنك تشعر مثلي...فنحن معًا...أعني داخل المكعب".

."ربما لأن ارتباطكِ بها بالدم"...

انتظرته بصبر حتى انتهى من تدوين تقريره ثم سألته بلهفة وهي تتطلع للمكعبات:

."ما التاريخ الذي سنذهب له اليوم؟".

. "ليس بعيدًا...بعد سنةٍ واحدةٍ من الذكرى السابقة...تبدو هذه الذكرى قويةً رغم أنّي لا أفضّلُ المكعبات المتقاربة...ولكن لنرى سبب ذلك (الوميض القوي)...هيا بنا!"...

هللت بحماس طفلة صغيرة أخبروها أن غدًا العيد:

."أنا مستعدة!".

. "انتظري...يمكنكِ محادثتي بصوتٍ خفيضٍ ونحن بداخل المكعب. لن يسمعنا أحدٌ على أي حال".

."ولم خفض الصوت إذن؟".

. "ربما تسبَّبْنا بإزعاجٍ ما لجدتك...لا تنسِي أن ثلاثتَنا متصلٌ بنفس الجهاز، ولا نريد أي حوادث تعيق بحثنا".

obeikandl.com

تفهمت وهي توميء بابتسامة متواطئة:

."وهو كذلك...هيا بنا!".

بعد ثوانٍ، كانا يقفان في حقلٍ على شكل شريط طوليّ، تتمايل فيه أعواد القمح الخضراء وقد بدأ لونها يميل للاصفرار... تلفتا حولَهما ليُصدما بصفٍّ من الأبنية بالطوب الأحمر تُشَوّهُ منظر الحقل الجميل...وعلى أطراف الحقل تستقرُّ أرجوحةٌ كبيرةٌ على شكل مَرْكَب وقد جلس جوارها رجلٌ قميءُ المنظرِ أشعثُ الشعرِ متهالكُ الثياب...

من إحدى الأبنية المتراصة كانت تتهادى بثوبها القصيرِ تمسك بيدها (قرش) وهي تلوّح به للرجل وتناديه بسعادة:

."يا عم، هل تسمح لي أن أركب الأرجوحة؟".

حدجها بنظرةٍ مريبةٍ وسألَها:

."كم معك؟".

."معي (قرش واحد)...هل يكفي؟"...

ألقى بسيجارته بعيدًا بإهمال، ونهض واقفًا بعد أن أخذ (القرش) ووضعه في جيبِ بنطاله المُهْتَرئ، ثم أمسك بيدِها الصغيرة يُساعدُها على الصعود للأرجوحة...

أمسكت بيد (هشام) متمتمةً بصوتٍ خفيض:

."(هشام)...لا يعجبني ما يحدث!".

."تذكري أنها مجرد ذكرى...كل ما يدور هنا حدث بالفعل، لا جدوى من التدخل لمحاولة تغييره".

أشارت بإصبعها نحو الفتاة الممسكة بحبال الأرجوحة وهي تتطلع بشبق نحو السماء وكأنها تتوق للمسها في كل مرة تقترب فيها أرجوحتها من الأفق:

. "أُنظر إليها، كم تبدو سعيدةً وهي تكاد تطير مع النسيم بثوبها الربيعي وضحكتها الجميلة..."

تغيرت نبرتها وهي تمسك بيد هشام وتلفت نظره للرجل الغريب:

"أنظر...ماذا يفعلُ هذا الغبيُّ؟...لقد بدأ الشعور بالدّوار يراودها...إنها تطلب منه أن يتوقَّفَ، ولكنه يتظاهر بعدم سماعها، وهو مستمرٌّ بدفع الأرجوحة بقوة أكبر...شعورها بالغثيان يتزايد ولا تكاد تستطيع الوقوف على قدميْها...لقد ذبلتْ ضحكتُها، وشحب وجهها، ولا تدري ماذا يحدث ولماذا لا يتوقف!".

فجأةً، أوقف الرجل الأرجوحة وصعد إليها يساعدها على النزول منها، وكانت المسكينة بالكاد تستطيع الوقوف على قدميها...سانَدَها باهتمام مبالغ وهو يتطلع حوله بارتياب،حتى استقرَّتْ على الأرض، ولكنَّهُ لم يتركْها...كانت شبه غائبةٍ عن الوعي وهو يسحبُها لخيمته الصغيرةِ خلف الأرجوحة...كان يُهَدْهِدُها ويُطمئِنُها بكلماتٍ لم تسمعها...ولكنها بدأت تُفيقُ على وجوده بقربها بشكلٍ مريب، وقبل أن تنطقَ لاحظتْ يده التي بدأت بفتح (سحّاب البنطلون)!...

شهقتْ بعينين متسعتين رُعبًا...وفي نفس اللحظةِ الحاسمةِ كان صوت أمِّها المنقذِ ينادي... فانتفضتْ تَدفعُه وقد عاد إليها كاملُ وعيِها لتخرجَ من الخيمة القذرةِ كصاحبها...ارتاعتْ أمُّها وهي تراها تخرجُ منها فأمسكتْ بذراعِها تكادُ تخلعُهُ وهي تسألُها بقسوةٍ تُخفي رعبَها الحقيقي:

. "أَلَمْ أحذركِ من التأخير؟!...ماذا كنتِ تفعلين؟...ولماذا دخلتِ خيمته؟...ماذا فعل بكِ؟... انطقي...أخبريني!"...

فتحتُ عيني أشهق بدموعٍ لأجدَ نظرة (هشام) المتعاطفة:

."مرَّتْ على خير!".

."هل هذه رؤيتُك الخاصة أم أنك ترغب بتهدئتي؟...ألم تَرَ ما فعله ذلك القذرُ المتحرش؟!".

."لقد أنقذتها أمُّها"...

بزفرةٍ ساخرةٍ: - "أنقذتها من التحرش أو ما هو أسوأ، ولكنها بالتأكيد لم تفلتْ من عقابٍ مزدوج".

."بماذا شعرتِ؟".

تَلَفَّحَتْ بذراعيها حول جسدِها، وكأنَّها تستعيدُ الذكرى المقيتة أمام عينيها:

."كانت خائفة...بل شديدةَ الرعب...منظر هذا الرجل وما فعله بها، لم يغادر مخيلتَها لسنواتٍ طويلة... إحساسها وهو يدفع بالأرجوحة...وكلما طالبتْهُ بالتوقف يزيد من سرعتها...ربما لم يغتصبْها...ولكنه اغتصب فرحتَها...أتدري أنها لم تركب أرجوحة في حياتها بعد ذلك اليوم...كلما حاولت تشعر بنفس الشعور بالغثيان وتكاد رائحةُ الخيمةِ العفنةُ تزكم أنفها!".

. "لقد تعبتِ اليوم...سنأخذ إجازةً طويلةً هذه المرة...أراكِ بعد أسبوع...لن أستطيع الاتصال بكِ لتأكيد الموعد".

نهضتْ واقفةً بسيقانٍ مهلهلة وهي تومئ بضعف:

."سأكون موجودة في الموعد".

obeikandl.com

المكعب الرابع
(وحيرة!)

كان درسًا قاسيًا أيها (البرعم المسكين)،
تعلَّمتَ منه أول درس في الحياة، ألّا تفتح لأي طارقٍ،
وألّا تلقي بهمومك على أكتافٍ غير أكتافك،
وألّا تحلُم إلّا بما تستطيع مدَّ يديك والاحتفاظ به!

obeikandl.com

."دكتور (هشام)...أنت سارحٌ مرةً أخرى!".

انتبه (هشام) ليعتذر مرةً أخرى:

."عفوًا دكتور (بكري)"...

أشار الطبيب الأكبر سنًا لطعامه الذي لم يَمَسّ:

."تناولْ وجبتَك، وبعدها سنتحدَّثُ فيم ينشغلُ به خيالك".

امتثل (هشام) للأمر؛ وتناولَ طعامَه بدون أن يشعر بمذاقه...

كانا يقفان في حديقةِ المشفى يستمتعان بإجازةٍ صغيرةٍ من ضغط العمل المنهك،بين الطبيعة الخضراء، وبين أيديهما أكواب خزفية تتصاعد منها الأبخرة...قَهْقَهَ (بكري) وهو يستلقي برأسه مستندًا على الأريكة الخشبية:

. "مع كل التقدم التكنولجي والتطور وعقولنا التي كاد أن يَنْبُتَ لها عقولٌ صغيرة من العبقرية...ما زلنا نتناول طعامنا ثم نُلحقه بكوبٍ من الشاي الأسود المُحَلَّى...هل تصدق أننا الشعب الوحيد الذي يستمتعُ بهذا القدر من تكسيرِ الحديدِ في جسمه!"...

ثم أردفَ عندما لم يلقَ استجابة من رفيقه:

. "الآن مسموح لك أن تبوحَ بما يشغلك قبل أن تتحوّلَ لصنمٍ...(هشام)؟".

صاح بلهفة وهو يتناول رشفةً سريعةً من كوبه:

."أنا أتناول الشاي...أخخخخ!"...

ضاقت عينا (بكري)، ضاحكًا:

. "الشاي ما زال ساخنًا أيها الأخرق...ولم أَدْعُكَ لتشربه، بل لتتحدث...هل من مشكلة في مكعباتك؟".

. "ليس تمامًا...الجهاز بخير...ولكن...النفس البشرية ليست كذلك...كلما تعمّقنا داخلها أصابتنا الحيرة في أمرها!".

."هل تتحدث عن السيدة (نيَّرة)؟".

. "نعم يا دكتور...من الواضح أنها لم تَحْكِ لأي مخلوقٍ عن ذكرياتها هذه!"...

."وكيف عرفت؟"...

. "كان مجرد إحساسٍ في البداية،ثم تأكدت منه من حفيدتها".

مَطَّ (بكري) شفتيه متسائلًا:

."حفيدتها؟".

لم ينتبه (هشام) لتساؤله، وأردف متعمقًا في أفكاره:

."ربما لم تحكِ لابنتها، وحكت لزوجها أو أي أحد من أهلها"...

."لا أعتقد...على كل حال ستتبلور شخصيتُها في الأيام القادمة".

."وهل يهمك أمرُ شخصيتها لهذا الحد؟".

. "على الصعيد العملي يا دكتور...العملي فقط...دراستي ستساعد الطب النفسي في فهم الكثير من الأمور المستعصية في العقل البشري".

ثم نهض واقفًا:

. "لقد حان الوقت تقريبًا...هل ستكون حاضرًا في تجربة اليوم يا دكتور؟".

obeikandl.com

. "كم هو مخيب للآمال أن أفوّت أي تَجْرِبةٍ من تجاربك يا (هشام)، ولكن، مع الأسف بعد خمس عشرة دقيقة سأجري عملية خطيرة لطفلة تكاد تفقد قدرتها على السير".

."نعم سمعت عنها...ينتظرون منك (معجزة)!".

. "ليس بعيدًا عن (الله) أن يستجيب لدعوات والديْ تلك المسكينة...ولكنني سأطلع على تقاريرك فيما بعد".

اليوم هو الموعد المحدد، هل سيجدها مثل كل مرة؟؟ كان يسرع الخطى ليحصل على إجابة سريعة، وكانت بانتظاره كعادتها...

حدجها بنظرة باردة، ورغب بشدة أن يسألها، ولكنه ابتلع كل تساؤلاته وبادرها بغلظةٍ:

."هل أنتِ مستعدةٌ يا آنسة؟".

قلبت شفتَها السفلى برفضٍ لأسلوبه الفظّ الذي لم تعهده وسألته:

."هل حدث خطبٌ ما؟".

."لا...لا شيء...لماذا السؤال؟".

اعترضت على أسلوبه بلغة الجسد، فهزت أكتافها قائلة:

."تبدو غريبًا اليوم!".

."أنا كما أنا...هل نبدأ؟".

هتفت بلا مبالاة:

."أنا مستعدة...إلى أين؟"...

أجابها بدون أن ينظر نحوها:

."عندما كان عمر جدتك عشر سنوات".

أغمضت عينيها تستعدّ لدخول مكعبٍ جديدٍ من الذكريات...

فتحتهما بحذرٍ لتجد نفسَها في شقةٍ صغيرةٍ مكونةٍ من غرفتين وصالةٍ صغيرةٍ للغاية...

. "لقد كبرت الطفلةُ الصغيرةُ، أصبح عمرها (خمسة عشر عامًا)...ولكنها تجلس حزينةً تكتب في كراسةٍ ما...أشرتُ ل(هشام) أنني سأتحرك خلفَها لأرى ما تكتب...

أومأَ لي بالموافقة وظلَّ مكانَه يراقب ما يحدث... كان خطُّها صغيرًا جدًّا وغير منمّقٍ...ولكنني استطعت بصعوبة قراءة ما تكتب:

"أنا الآن عمري (خمسة عشر عامًا)...عندما كنت في (السادسة) سألت نفسي كثيرًا...من أنا...ولماذا جئت لهذا العالم؟... الآن فقط عرفت الإجابة...أشعر أنني، في هذا البيت أقلُّ من حيوان...أعمل بجهدٍ ولا يحق لي التساؤل أو الاعتراض...حتى البكاء غير مسموح لي به...كما أنني غير مسموح لي بالتصريح برأيي في أيّ شيءٍ...لي (أخوات ثلاثة) أحبهم أكثر من أي شيءٍ في هذا العالم، ولكنني أشعر أنهم لا يحبونني أبدًا...(أبي) لا يكفُّ عن ضربي لأي سببٍ، ولو إحدى أخواتي اشتكتني؛ يضربني بدون أن يسألني عن الشكوى، لماذا لا يستمع لدفاعي؟!...

ليالي طويلة بكيت فيها بدون أن يشعر بي أحد...هذا العالم لا خيرَ فيه أبدًا ولا أمان.

بدأت اليوم فقط كتابة مذكراتي عندما فارقتني صديقتي الوحيدةُ وسافرتْ... فقدتُ رفيقتي الوحيدةَ التي كانت تستمع لي، وتفهمُني، كنّا لا نفترق، (في الصباح) نذهب للمدرسة سويًا، و(طول اليوم) متجاورتان في

دِكَّةٍ واحدة، وفي (المساء) نعود للبيت حيث شقتي تعلو شقتَها بطابقٍ واحدٍ، حتى أننا صنعنا (هاتف) من علب الأيس كريم والخيط.

فكرتُ بالانتحار بعد (خواء حياتي)، لم أستطع التعرف على صديقةٍ غيرها، أشعر كأنَّ الجميع يبتعدون عني، كل يوم في الفسحة لا أجد من يصاحبني؛ فأتذكر عندما كانت معي، كنا لا نفترق قطّ، كنا نجلس سويًا أسفل الشجرة الكبيرة في حديقة المدرسة ولا نلتفتُ لأحدٍ منهم، الآن أنا وحيدة، أذهب لأقضي وقتي في ذلك الفصل المهجور بعيدًا عن العالم...أجلس وحيدة بين الدِّكَك المُتْرَبَةِ، ثم أقضي وقتي بالدوران حولها، ومع الأيام صنعتُ علامات بحذائي على شكل دائرة في الأرض، كل يوم في نفس الوقت أَحُجُّ إليها حتى أسمع جرس الفسحة يدعو للعودة للفصول...أُلَمْلِمُ نفسي الوحيدة وأعود أترقب ربما افتقدني أحد...ولكن في كل مرة يخيب أملي".

راقبها (هشام) تنزع عن رأسها المجسات بعصبيّةٍ وتنهض واقفةً وتصيح بألمٍ ويداها متشابكتان في بعضها:

."لم أكن أعلم...لم أكن أعلم!"...

."ماذا؟".

مدت يديها وكأنها تحاول شرح أمر بالغ الصعوبة:

."إنها تشعر بالوحدة لهذه الدرجة!"...

حاول هشام تهدئتها:

."كانت مجرد مراهقة، وشعورها طبيعي"...

هدرت بنبرة ساخرة:

."هل يُفترض أن يكون شعوري أفضل الآن بعد تحليلك المذهل، لا أيها الطبيب البارع لا يفترض بطفلةٍ في سنّ المراهقة أن تراودها فكرةُ الانتحار، وإذا جمعت كل الذكريات السابقة، تستطيع أن تدرك أنها عاشت طفولةً حزينةَ، فلا (أب) حنون، ولا (أم) تحتضن، حتى (الأخوات)، تعلمن الجحود منذ صغرهن، ولا أستثنيها منهم، فهي (ابنة هذه العائلة)".

التفتتْ لتتشبّعَ برؤية جدتِها مسجاة عبر الجدار الزجاجي وأردفتْ بتنهيدة:

."ربما أصبح شيء من تصرفاتها مفهومًا الآن، كانت دائمًا تحاول تلافي أخطاء الماضي، أرغموها على ارتداء جلبابهم لبعض الوقت، ولكنها استطاعت خلعه وبناء شخصيةٍ مستقلةٍ لها، ولم تُسامح نفسها قطّ على ما ارتكبته من أخطاء في حق...".

التفتتْ لترى عيون (هشام) تضيق بانتباهٍ لتكملة حديثها...نَفَضَتْ رأسها بانزعاج:

."أعتذر...بالغتُ بردّة فعلي!".

."هل كنتِ تعرفين أنها تكتب مذكراتها؟".

."نعم... أخبرتني ذات مرةٍ...ولكنّني لم أهتم بما تكتب قطّ...كما كان شأني وشأن الجميع معها دائمًا، إلى اللقاء".

obeikandl.com

الملعب الخامس

(صديقات جدتي!)

مرحبًا أيها (البرعم الصغير)، أم أن عنقك استطال
من قَلَنسُوَتِك وتكاد أن تصبح كائنًا بذاتك،
تتحدّى ضعفَك ومن يستضعفُك،
هل نحّيْتَ خجلَك جانبًا، وبدأت خوض تجاربك الخاصة؟
هل رفعتَ رأسك تستقبل شمس النهار، ولا تختبئ من نسمات
برد الليل الطويل؟!
هل تحليت بالشجاعة الكافية لتخوض تجاربك الخاصة؟.

obeikandl.com

- "(هشام)... أين تقرير التجربة الأخيرة في المكعبات؟... (هشام)!!...هل ستظل محدِّقًا طويلًا في الفراغ؟...أين أنت يا صديقي؟!"...

ثم رَبَتَ على كتفه؛ فانتبه الطبيب الشاب لمحدِّثِه أخيرًا:

."دكتور (بكري)...عفوًا... هل كنت تقول شيئًا؟".

. "لولا أنني أعرفك جيدًا لقلت لك المثل المعتاد في هذه الحالات "من يأخذ عقلك؛ يهنأ به" ولكن بما أن الحال كما هو؛ فلا أعتقد أن حواء ما استطاعت الاستيلاء على ما تبقى من عقلك!".

هتف بلهجةٍ استنكاريةٍ:

."حواء!...بالطبع لا يا دكتور (بكري) وأنت تعرف جيدًا أنني...".

أكمل مردفًا:

. "أعلم يا بني... لذلك لابد أن الاستيلاء على عقلك سيكون من قبل مشروعك العلمي ومكعباتك الجهنمية!".

. "حقًّا يا دكتور...لقد شارفتْ رسالتي على الانتهاء، وأحلُم باليوم الذي سأحصل فيه على براءة اختراعي!"...

."هذا فقط ما يشغل عقلك؟".

."نعم وما يكون جديرًا باهتمامي أكثر من اختراعي؟".

. "امممم...إحساسي يخبرني بأمرٍ آخر... أرجو ألا تكون مشكلة ما واجهتك وتأخذك النزعة العنترية ولا تخبرني؟".

."على العكس تمامًا...كل الأمور تسير في مسارها الصحيح"...

. "حسنًا!...لم لا توافق على تعيين مساعدة لك؟...قبل أن ترفض من جديد...هذه المرة لن تكون طبيبة من المشفى...أرى الفضول يتقافز من عينيك!".

هم (هشام) بالاعتراض:

."دكتور (بكري)...!".

. "لا تعترض قبل أن تعرف هويتها... إنها الدكتورة (نبيلة بكري علم الدين)!"...

هب (هشام) ليعترض عندما توقف ممعنًا التفكير في الاسم:

."ابنتك؟".

. نعم... وهي في (السنة النهائية من كلية الطب)، ومعجبة كثيرًا بأفكارك...

."أنت تضعني في خانة اليّك!"...

أغمضَ الدكتور (بكري) أحد عينيه بغمزة:

."هل نجحت؟".

أومأ (هشام) بتنهيدةٍ ثم أردف بتحذير:

."ولكن كونها ابنتك لن يشفع لها أن أتجاوز عن أية أخطاء، ولن أعطيها فرصًا أيضًا، خطأ واحد فقط كفيل بطردها خارج معملي، إلى غيررجعة".

أومأ (بكري) بعد تفكير:

."عادل بما يكفي...نظرًا لكونك لم تقبل أي مساعد آخر"...

لوّح (هشام) بيده وكأنه على وشك أن يقول شيئًا ما، ثم تراجع بهزة رأس لأستاذه:

obeikandl.com

."أخبرها أنني سأكون بانتظارها منذ الغد"...

توقفَ عن السير عندما فاجأَهُ الدكتور (بكري) ضاحكًا:

."ستجدها بانتظارك على باب معملك"...

هز (هشام) رأسه بابتسامة:

."هل كانت موافقتي مضمونة لهذه الدرجة؟!".

قَهْقَهَ الدكتور (بكري):

. "أنت تلميذي النجيب... بالطبع كنت أعرف...لكن احذر...إياك التلاعب بقلب صغيرتي!"...

قَهْقَهَ (هشام)، وهو بطريقه لمعمله متعجبًا من الفكرة، كيف يمكنه التلاعب بهذه الصغيرة التي كانت منذ سنوات فقط ما تزال تركض خلفه كجروٍ صغير.

كانت تقف مُتَمَلْمِلَةً بجانب الباب، يبدو أنها تنتظره منذ وقتٍ طويل...تمهَّلَ بخطواته حتى استرعى انتباهها، فوقفتْ بانتباه:

."دكتور (هشام)...أنتظرك منذ دهر تقريبًا!".

. "قاربتِ على التخرج من (كلية الطب) وما زلتِ تميلين للمبالغة، أخبرتكِ عندما كنتِ في (الثانوية العامة)، خطأ كبير في حق البشرية لو اتخذت طريق والدكِ!".

أومأت بتأثّر:

."على البشرية أن تتحمل، أنا نفسي أحد معجزاتها على قدمين".

أدار المقبض ليفتح الباب أمامها:

obeikandl.com

. "تفضلي يا...(معجزة)...ولكن ليكن في معلومك، كما أخبرت والدك منذ لحظات...خطأ واحد فقط وستجدين نفسك في أقرب مكب للنفايات بعيدًا عن مشروعي، حتى قبل أن تدركي خطأك!".

رفعت يدها اليمنى بالقَسَم:

. "أقسم أن أكون حذرةً، وألا أعطيك هذه الفرصة أبدًا، حتى لو كنت تحلُم بها منذ تلك اللحظة التي أخبرك والدي أنني سأكون فيها مساعدتك!".

ضاقت عيناه بتفهّم:

. "جيد جدًا...بداية مبشرة... ذكية، لمّاحة...وذات لسانٍ طويل...لن يطول بكِ الأمر هنا"...

دخلت خلفه لتحدق بفضول في محيطها عندما لمح (نيَّرة) تقف بمواجهة النافذة العريضة حيث جدتها...وقف بجوارها:

."أعتذر عن...".

ثم أشار للخلف حيث مساعدته الجديدة تحاول ترتيب الفوضى حولها، وأردف:

."فُرضت علي من الدكتور (بكري)"...

حدجتها بنظرة سريعة وسألته بنبرة خافتة:

."هل ستكون مشكلة؟...أعني بالنسبة لوجودي؟".

."لا... على الإطلاق"...

أعادت النظر لجسد جدتها المُسَجَّى عبر النافذة الزجاجية:

."وجدتي؟"...

وضع يداه في جيبي بنطاله وتحرك كالبندول للأمام والخلف:

. "تبدو وكأنها مستمتعة بالغيبوبة...قد يبدو كلامي غريبًا، ولكن أكاد أقسم في أحيان كثيرة أنها تبتسم!".

."رغم أن ذكرياتها حتى الآن ليس فيها ذكرى واحدة تدعو للبهجة".

."ربما حياتها اختلفت عندما أصبحت شابة".

."لم لا نعرف بالتجربة العملية؟...أي مكعب سندخل اليوم؟"...

استداريحدّقُ بالمكعبات حتى لمح أكثرها وميضًا، أشارنحوه:

."هذا يبدو مشعًا أكثر من غيره...لنرى...هيا بنا!"...

."سأبقى بجوار جدتي...هل يمكنني؟".

نظرباتجاه مساعدته الجديدة ثم نحوها وأومأ بتفهُّمٍ:

.لا بأس حتى تعتادي مساعدتي الجديدة، ربما لو تعارفتما...

قاطعته بلهجة حازمة:

."ليس اليوم"...

."حسنًا...سأرى إن كانت الأسلاك ستصل إليكِ"...

وبعد عدة محاولاتٍ، تَنَفَّسَ بعمقٍ عندما أنهى توصيل الجهاز إليها ثم التفتَ لمساعدته...التي عقدت ذراعيها على صدرها:

."ألن تخبرني ما يحدث هنا؟".

لحظاتِ صمتٍ طويلةً تبادلا فيها النظرات المستهجِنة ثم هتف أخيرًا:

. "أه...فهمت...أنتِ لا تعرفين شيئًا عن جهازي...ظننت الدكتور (بكري)...".

مَطَّتْ شفتيها بامتعاض فأردف:

."هذا من شيم الطبيب العجوز...حسنًا الموضوع باختصار...".

ثم شرح لها الفكرة العامة، ربما كان يأمل أن تجد الموضوع مملًا وتنسحب، ولكنَّ التماعَ عينيها ببريق الحماسِ أخمدَ كل أمل له أن تفرَّ هاربةً، خاصة عندما هتفتْ بلهفةٍ:

."هل يمكنني الدخول معك؟أرجوك!".

التفتَ ليعرف رأي (نيَّرة)، فوجدها غارقة في تَأَمُّلِ جسد جدتها...ملأ صدره بالهواء وهم بالرفض ولكنه نطق بآخرِ كلمةٍ كان يفكر فيها حقًا:

."حسنًا...ولكن إياكِ أن تفتحي فمكِ ونحن بالداخل"...

."تمام يا فندم...أعني يا دكتور"...

."الذكرى للمريضة وهي بسنّ (الثامنة عشر عامًا)...هيا بنا...أغمضي عينيكِ".

تلفَّتَ حوله بتساؤلٍ توقَّفَ عند (نيَّرة) التي قالت بعد تنهيدةٍ حزينةٍ:

."هذه مَدرستها...وهي تقف هناك أمام البوابة بانتظار صديقاتها"...

تابعها (هشام) إلى حيث تشير:

."نعم... أراها...هي التي تُحيِّي صديقاتها وتنتظرهن الواحدة تلو الأخرى".

."نعم...هي تفعل هذا دائمًا"...

."كيف عرفتِ؟".

."أخبرتني ذات مرة عن بعض ذكرياتها معهن...كانت هذه إحداها"...

."دكتور (هشام)...هل أفتح عينيّ؟"...

انتبه لصوتِ مساعدته وعيناها مغمضتان ثم هتف ضاحكًا:

."بالطبع...لماذا لم تفتحيهما من قبل؟!".

صاحت بغيظ:

. "أنت أمرتني أن أغلقهما، ولم تخبرني متى أعيد فتحَهما...هل تراني مضحكة؟!".

."عفوًا لم أقصد...انظري؛ هذه مريضتنا تقف بمواجهة بوابة المدرسة من الداخل...تنتظر رفيقاتها"...

."هذا رائع...ولكن لماذا تنتظرهن؟"...

."لا أدري...(نيَّرة)؟"...

أومأت (نيَّرة):

."ستعرف"...

."لقد أُغلق باب المدرسة...ودخلت (نيَّرة) لصفها"...

فجأةً، تغير المكان، هتفت (نبيلة) بذُعْرٍ:

."أين نحن؟!"...

."في بيت (نيَّرة) القديم...وها هي في غرفتها تكتب مذكراتها"...

وقفت (نيَّرة) خلفها تقرأ ما تكتب:

."كل يوم أقف بانتظارهن...(أميمة) و (أميرة)، (هويدا) و (نداء)، (مها) و (عزة)، (لمياء) و (لميس)... وإذا غابت إحداهن؛ أسرع بالاتصال بها فور عودتي وأطمئن على حالها، ترى هل سيفتقدونني لو غبت يومًا؟...هل سيتصلون بي للاطمئنان؟...عندما لا يجدونني بانتظارهن أمام البوابة، هل سيبحثن عني؟ لا أعرف...ربما سأجرب لو أغيب يومًا"...

obeikandl.com

هتفت (نيَّرة):

."دكتور (هشام)...دعنا نغادر هذه الذكرى... أرجوك!".

."لماذا؟"...

لم تنتظره وانتزعت الأسلاك عن رأسها لتشهقَ بألمٍ رهيبٍ في رئتيها...لحق بها (هشام) وأسرع نحوها يحاول تهدئة سعالها:

."لا بأس... كل شيء على ما يرام...هل أنتِ بخير؟".

. "نعم...آسفة...لم أستطع البقاء، شعورها بالألم كان يصل لي ولم أحتمل!"...

."لماذا؟"...

. "لأن تجربتها فشلت...لم يشعر أحد بغيابها...بعد يوم غياب عادت تنتظرهن، ولم تسألها ولا واحدة منهن عن سبب غيابها، بل لم يلاحظن غيابها أصلًا"...

."وهذا سبب ألمها الشديد الذي انتقل إليكِ؟"...

أومأت بنظرة هائمةٍ... ثم هتفت تشير لمساعدته:

."صديقتك ما تزال داخل المكعب".

وقف بسرعةٍ ينتزع عنها الأسلاك فإذا بها تفتح عينيها باتساع، شاهقةً وهي تُمسك بتلابيبه:

."أين ذهبت؟...أين ذهبت وتركتني؟!"...

."أنا آسف...لقد اضطررت للـ...".

."اضطررت... تركتني في...اللامكان أتخبط مع تلك البائسة الحزينة"...

."عفوًا كان يجب أن أخبرك كيف تخرجين بدون مساعدة".

obeikandl.com

. "جميل جدًا أيها الطبيب البارع...تارةً تنسى أن تخبرني أن أفتح عينيّ بعدما أمرتني بإغلاقهما...والمرة الثانية تنساني بكليتي...(هشام)...".

هتف بأمل:

."هل ستنسحبين؟".

. "في أحلامك أيها الطبيب النابغة...كونها التجربة الأولى سأمررها لك"...

."ربما تكررت، من يدري؟"...

حدجته بنظراتِ إصرار:

."سأعمل على أخذ كل احتياطاتي في المرة القادمة...متى ستكون؟"...

التفت ل(نيَّرة) ثم هتف بانفعال محبط:

. "لقد ذهبت...وأنتِ يا مساعدتي يمكنكِ البقاء هنا وكتابة تقرير عما حدث اليوم وأنا سأحاول اللحاق بها"...

."انتظر...ولكن!...".

تنهدت بانزعاج بعد أن خرج صافقًا الباب خلفه، جلست أمام جهاز الكمبيوتر تدون التقرير.

obeikandi.com

المكعب السادس
(الحبُّ الأول!)

أكاد أستحي من مناداتك بـ(البرعم الصغير)،
وأنت أشبه بملاك يلهو بأجنحته المتلألئة بانعكاس أشعّةِ القمرِ الفضية، تكاد تشرَئِبُّ بعنقك باشتياقٍ لأن تنهل من نبع الحب الصافي الرقراق،
كل النبع لك فانهل منه على مهل،
على مهل يا صغيري!

."آنسة (نبيلة)، أعتقد أنكِ نسيتِ مع من تتحدثين؟".

عقدت ذراعيها على صدرها هادرةً بسخرية:

. "على العكس تمامًا أيها الدكتور العبقري...أنا أعرفك حق المعرفة، ولكن على ما يبدو أنك ما تزال تعاملني كأنني ما زلت تلك الطفلة الصغيرة بالضفائر والتي كانت تتبعك كظلك كالبَلْهاء، كلما جاءت في زيارة للجامعة مع والدِها، والذي بالمناسبة هو أستاذك صاحب الفضل واليد الطولى عليك حتى أصبحت طبيبًا!".

."أغلقي هذا الفم حبًا بالله، ما كل هذا، هل تختزنين الكلام منذ تعلمت النطق، والآن حان وقت إفراغه في وجهي!؟".

تأوهت باشمئزاز وهي تشمله بنظرات محتقرة:

."كما تستحق تمامًا".

لوح بسبَّابته في وجهها بلهجةِ تحذير:

."مازلت رئيسكِ في العمل، وأنتِ ما تزالين تلك الطالبة التي لم تحصل على إجازتها لممارسة الطب بعد!".

."هل تعايرني يا (هشام)؟".

هدر بارتباك:

. "لا...لم أقصد... هل يمكنني سؤالكِ...لماذا بدأ هذا الشجار منذ البداية؟".

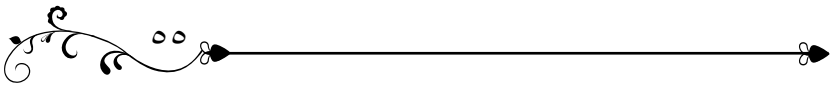

حدجتْهُ بنظرة من بين أجفانها المُسْبَلة، أَجْلَتْ حلقَها بسعلةٍ خفيفةٍ ثم شَمَخَتْ بأنفها:

."أنت السبب...تعاملني كأنني تلميذة!"...

تنهّد بملل وهو يقر حقيقة تجاهلتها:

."وأنتِ كذلك"...

. "بل أنا في (سنة الامتياز)... ما يفصلني عن لقبي كطبيبة هي سنة واحدة فقط، مما لا يحق لك التقليل من شأني"...

."وأنا لا أفعل...كما يتراءى لعقلك الـ...كامل"...

."إذن لماذا تُخفي عني أسرار عملك في مكعبات الذكريات؟!"...

. "ولماذا أخبركِ بكل أسرار عملي وأنتِ لم تنضمي للعمل إلا منذ أيام معدودة فقط؟"...

هَبَّتْ باندفاع:

."هذا لأني...لأني..."

أصاخ بإذنه مقتربًا منها:

."نعم...أنا أسمع..."

هزت أحد كتفيها بعنفوان:

."لأنني مساعدتك بالطبع"...

هتف بحماس:

."وهذا باعتقادي لا يخول لكِ الإطلاع على كل أسراري"...

."وكم يجب أن يمر من وقت لأطلع على كل أسرارك؟"...

أجابها مُقَهْقِهًا:

obeikandl.com

."الأبدية...هيا كفي عن ثرثرتك فلا طائل منها، ولا أمل يرتجى، لابد أن (نيَّرة) بانتظارنا"...

تَبِعَتْهُ مُغَمْغِمَةً:

."وكأنها تشعر بوجودك من عدمه"...

التفت لها نصف التفاتة يسألها بعينين نصف مغمضتين:

."هل تقولين شيئًا أيتها الطبيبة إلا ربع؟"...

."لم أفتح فمي أيها الطبيب الـ...".

حدجها بنظرةٍ من طرف عينه فادَّعَتْ رسم ابتسامة بلهاء، وهي تشير على فمها بسبابتها.

دخلا المعمل ليجد صديقته الصغيرة في مكانها أمام نافذة جدتها...اتجه نحوها بعد أن أعطى تعليماته ل(نبيلة) إعداد الأجهزة كما علمها:

."(نيَّرة)...".

التفتت تحدجه بنظرة استغراب، فاستدرك بارتباك:

."عفوًا...لم أقصد...آنسة (نيَّرة)...".

."لا بأس يا دكتور (هشام)...يمكننا تجاوز الألقاب...كم أشعر بالأسى من أجلها!"...

كان ما يزال تحت تأثير بُحَّةِ صوتها الرخيمة التي تجاوزت صدره واخترقت قلبه مباشرة بسهم (كيوبيدي)، قبل أن يدرك أنها انتقلت للحديث عن جدتها...مسح وجهه بيديه مع تنهيدةٍ عميقةٍ:

."نعم...نعم...".

obeikandl.com

أراحت جبينها على الزجاج البارِدِ مُتَمْتِمَةً بتأثر، وكأنها لم تشعر بالانقلاب الصيفي في مشاعره:

."كم تمنيتُ لو كنت موجودة في زمنها...ربما استطعتُ التخفيف من معاناتها الصامتة!"...

."لا تلومي نفسكِ رجاءً...ربما كانت إنسانةً صعبةَ الفهم، لذلك لم يفلح من حولها في التخفيف عنها"...

التفتتْ له بحدّة:

."جدتي كانت أطيب مخلوقة على وجه الأرض!".

تَراجَعَ بارتباك:

."عفوًا...لم أقصد...أعني...".

مَنَعَتْهُ من المتابعة برفعِ كفها أمام وجهه:

."لننتهي مما جاء بي إلى هنا يا... دكتور (هشام)...".

حَكَّ رأسه بخجل:

."أعتذر...سنبدأ على الفور"...

ثم رفع صوتَه ينادي مساعدته:

."هل كل شيء جاهز يا دكتورة (نبيلة)؟"...

أومأت ساخرةً:

."رهن إشارتك يا دكتور (هشام)"...

ثم غَمْغَمَتْ بصوتٍ منخفض:

."عندما تنتهي من التحدث مع صديقتك الـ...".

."هل تقولين شيئًا يا دكتورة؟".

."تفضل يا دكتور (هشام)"...

."هذه المرة تعرفين جيدًا كيفية الدخول والخروج؟".

."نعم..شكرًا لتذكرك وجودي"...

حدّق بالمكعبات الزجاجية، ثم هتف بعد تركيز:

."الذكرى التالية بعد (ثلاث سنوات) من الذكرى السابقة...أعتقد أنها في (مرحلة الجامعة)...نأمل أن تكون الأوضاع أفضل حالًا!"...

ثم حدج (نيَّرة) بنظرةٍ خاصة قبل أن يغمضوا جميعًا أعينهم ويسبحوا في عالمهم الافتراضي...

تَلَفَّتَ ثلاثتُهم حولهم لتهتف (نبيلة):

. "أعتقد أنني أعرف هذا المكان...رغم المباني الكثيرة المختفية ولكن أعتقد أننا داخل الحرم الجامعي...بالتحديد في الطريق لكلية الطب...وها هي بطلة قصتنا بصحبة رجل...تبدو من نظرتها وكأنها عاشقة"...

حدجتها (نيَّرة) بنظرةٍ غاضبةٍ؛ فأمسكها (هشام) من مِرْفَقِها هامسًا:

."دعينا نسمع ما يقولان...سوف أحاسبها على تعليقاتها في وقتٍ آخر"...

أطاعته وهي تقترب ليتسنى لها سماع صوت جدتها تحدِّثُ رفيقها الوسيم:

."عفوًا...لم أسمع"...

. "(نيَّرة)...لقد طلبتُ منكِ الزواج...ما الذي لم تسمعيه من حروف كلماتي الواضحة؟"...

كانت تفتح فمَها وتغلقه كالسمكة خارج الماء، فَهِمَ ارتباكَها خطأً؛ فاستدرك بسؤال:

. "هل طلبي مفاجئٌ لهذه الدرجة، أم أنكِ تخجلين من رفضي بوجهي؟...ربما فرقُ السنِّ بيننا، أو أهلك الذين سيعترضون، ولكن أؤكِّدُ لك أنني أستطـ...".

."تَوَقَّفْ أرجوك...ليس هذا ما دار ببالي...فقط سؤال واحد...هل صدر مني أي تصرف شجعك على طلبك؟...أرجوك كن صادقًا...إجابتك تعني لي الكثير"...

."كلا...لم يحدث، هل تفكيري بكِ فكرةٌ كثيرةُ الجرأة أم سخيفة؟!"...

ظهرت عليها الراحةُ وهي تواجهه:

."لا هذا ولا ذاك...ولكنني بالفعل أفكر في المشاكل التي ستواجه علاقة كهذه"...

."فقط وافقي واتركي كل هذه المشاكل على عاتقي"...

كانت الفرحة تتقافزُ شراراتُها في عينيها...وكأنَّ أحد أحلامها تحققتْ توًّا...

."مُوَافِقة!"...

تَلَفَّتَ (هشام) حوله ليلتقطَ ردة فعل (نيَّرة) ولكنها كانت قد اختفت...

تَخَلَّصَ من الأسلاك عائدًا للواقع، ليجدها تقف أمام نافذة جدتها:

."(نيَّرة)... لماذا اختفيتِ فجأة؟".

تَمْتَمَتْ بصوتٍ باكٍ:

."أرجوك... تَخَلَّصْ من مساعدتك!"...

التفت لصوت (نبيلة) الحانق:

."لقد فعلتَها مرة أخرى وتركتَني!"...

obeikandl.com

أمسك بذراعها ووجهها نحو الباب وهو يفتحه:

."اتركينا الآن لو سمحتِ...سأشرح لكِ لاحقًا"...

ثم أغلق الباب خلفها قبل أن يتاح لها الفرصة للاعتراض، وقفتْ مذهولةً أمام الباب المغلق تُرغي وتُزبد...

."هل تتحدثين مع نفسكِ أم مع الباب المغلق يا دكتورة؟"...

التفتتْ بوجهٍ أحمرَ، من الغضب:

."(بابا)...هذا الكائن لابد من احتجازه في غرف مغلقة مبطنة كالمجانين، (بابا) إنه يتحدث مع (نيَّرة) وكأنها...كأنها...".

رَبَتَ على كتفها:

."لقد حذرتكِ منه، ولكنكِ عاندتِ وأصررتِ على التَّجْرِبةِ بنفسكِ...هل استسلمتِ من الأسبوع الأول؟...

حَدَجَتْ الباب بغيظٍ وضربت بقدمها في الأرض بإصرارٍ:

. "أبدًا... لن يحدث...وسوف أريك يا دكتور (هشام) من هي (نبيلة بكري)!"...

opelkanal.com

المكعب السابع
(نهايةُ الحُبِّ الأَوَّل!)

إياك أن تسمح للظلام أن يتسيّدك،
انهضْ، نفّضْ ثوبَك من رماد احتراقك،
أخرج من جرير بعد أن تطهرتَ من أوهامك،
لم تعد (برعما قليل الحيلة)،
انظر لنفسك، انظر للعالم من جرير،
افتح قلبك فقد خُلِقَ الأمل لك!

obeikandl.com

زَفُرَ(هشام) بعد أن تخلّص من مساعدته... ثم اتجه نحو (نيَّرة):

."لقد تخلصت منها...أخبريني...ماذا حدث؟".

ولأول مرةٍ يرى ابتسامتها، كانت تُشْرِقُ كشمسٍ عادت بعد غيبة طويلة:

."كانت المرة الأولى التي تشعرفيها أنها محبوبة"...

."هل حدثتكِ عن هذه الذكرى؟".

. "لا...لقَدْ استشعرتُ إحساسَها...كادت تطيرُ بدون أجنحةٍ...وليس صحيحًا أنها لم تسعَ إليه...في كل مرة كان يحدِّثُها فيها عن خطيبته السابقة، كانت تتمنّى لو كانتْ مكانَها"...

."عفوًا...لم أدرك...هل كان هذا جدكِ؟".

هزت رأسها بعفويةٍ وتنهيدةٍ خرجت من أعماقها:

."لا...لم يتزوجا"...

."لماذا؟".

."لا أعرف...ربما الإجابة نجدها في المكعب التالي"...

كانت تشيع نظراتها على المكعبات، حتى لمحت إحداها (يضوي بقوة)، أشارت له كطفلة صغيرة:

."هذا...يبدو ذكرى مهمّة!"...

."أتعني أن...الآن؟!"...

هزت رأسها بقوة:

."هل يوجد ما يمنع؟".

."لا أعرف...لم نجرب الدخول لمكعبين في نفس اليوم"...

obeikandl.com

."أم أنك تخشى الدخول بدون (مساعدتك الجميلة)؟".

قَهْقَهَ ساخرًا:

. (نبيلة) ليست جميلة...هل هي؟ لا... لا... حسنًا سنجرّب المكعب، لو أحسستِ بأي تعب أخبريني على الفور"...

هتفت بغمزة ساخرة لارتباكه:

."اتفقنا يا...دكتور"...

حدجها بنظرة اتهام وهي تقلّدُ (نبيلة) في طريقة كلامها:

."لنبدأ أيتها الشقية"...

رفعت يدَها على جبينها لتحييه تحية عسكرية:

."تمام كابتن"...

ضاقتْ عيناه وهو يسرح في تفاصيلها المرحة قائلًا:

."تلك الذكرى تركت أثرها الإيجابي عليكِ بالتأكيد"...

هامت عيناها في الفراغ البعيد:

."لقد كانت سعيدة جدًا"...

تَمْتَم وهو سارح في بريق عينيها:

."نعم...لقد لاحظت...هل أنتِ جاهزة؟".

أومأتْ قبل أن تغمض عينيها لتنتقل لأعمق ذكريات جدتها.

أمسكتْ بذراع (هشام) وهي تشير بعيدًا:

."هناك... أُنظر...".

."نعم... أراهما...هل تعرفين هذا المكان؟".

obeikandl.com

. "نعم...كان في الماضي يسمى (طريق كلية الآداب)...أُنظر إليها تبدو غاضبةً".

."لنقترب ونستمع لما يقولان...هل أنتِ جاهزة؟".

أومأتْ برفة أجفان دَلَّتْ على توتُّرِها...كاد (هشام) أن يتراجع عندما وجدها تسبقه...

."أنا لا أحب إعادة كلامي"...

."عندما لا يكون مفهومًا، يجب أن تعيديه...من غير المعقول أن تجريني خلفكِ إلى هذا المكان، وتهذين بكلام غريب وغير مفهوم، ثم ترفضين"...

قاطعته بحدة:

."أنا لا أرفض...حسنًا...سأُعيد...أنا غير مرتاحة لعلاقتنا، ويجب أن...".

رفع يده ليوقفها:

. "قبل أن تكملي ما يجب وما لا يجب...أريد أعرف مفهوم كلمة (غير مرتاحة)"...

. "أولًا أنا لا أجدك عندما أكون بحاجة إليك؟ ثانيًا...دائمًا أنا المتصلة بك...دائمًا أنا التي أبحث عنك، ولا مرة سعيتَ لرؤيتي، أو حاولت الاتصال بي...".

حَكَّ لحيته الخشنة وهَمْهَمَ:

. "تعرفين جيدًا أنني لا أستطيع الاتصال بكِ، لأسباب كثيرة تعرفينها...وماذا غير ذلك؟"...

عقدتْ ذراعيها على صدرها تحاول بجهد منع الدموع من تجاوز أجفانها:

."طال وقت علاقتنا بدون معرفة أهلي...لابد أن...".

بابتسامة ساخرة ضاقتْ بها عيناه اللوزيتان:

."وهذا أيضًا اتفقنا عليه...لن أستطيع خطبتكِ من أهلكِ قبل أن أكون جاهزًا تمامًا...وأنتِ وافقتِ".

. "نعم وافقتُ...ولم أعلم أنني سأعيش في خوف دائم من افتضاح أمرنا"...

. "ماذا تريدين لكي تكوني مرتاحة؟...أن نقطع علاقتنا؟...حسنًا...أنا موافق"...

تَهَدَّلَتْ ذراعاها بجانبها تُحَدِّقُ به بذهول، ثم أردف:

."لقد تم ما أردتِ، أرجو أن تكوني سعيدة"...

ثم تركها وذهب..أوقف سيارةَ أجرة؛ أخذتْه بعيدًا عنها...

أفاق (هشام) على يدها تمسك بذراعه وتهمس:

."هيا بنا"...

وافقها على الفور ليعودا في غمضةِ عينٍ إلى المعمل...

."(نيَّرة)... هل أنتِ بخير؟"...

أومأت بابتسامةٍ غريبة فلم تدل على الابتسام قطّ:

."لقد كانت تكذب"...

."تقصدين جدتكِ؟".

تابعت وكأنه لم يقاطعها:

."كل الأسباب التي ساقتها له لتتركه كانت كاذبة، هي فقط لم تستطع التضحية من أجل قلبها، فضحّت به".

."أنا لا أفهم"...

."حبيبها كانت ظروفه صعبة، وأمامه سنوات كثيرة كي يستطيع تجهيز شقة لائقة بها".

."بعد كل ما مَرَّتْ به، عندما تجد شخصًا يُحِبُّها، تتخلى عنه بهذه السهولة!".

."لقد عانت بدَوْرِها في سنواتِ الغربة مع أهلها، لم يكن لديها أي استعداد للمزيدِ من المعاناة...ظنت أنها ستجد الحبَّ في أي مكان تَطَؤُهُ بقدميها".

."ربما وجدته مع جدكِ؟".

رفعت عينيها إليه بنظرةٍ مُتْعَبَةٍ، ثم وقفت بتنهيدةٍ طويلة:

."لقد تعبت...سأذهب"...

."ألن تشتري هاتفًا، لأطمئن عليكِ؟".

كانت إجابتها، هزةً خفيفةً برأسها، مع ابتسامةٍ وتلويحةٍ بيدها:

."إلى اللقاء".

obeikandl.com

المكعب الثامن
(وحيدة في الظلام!)

لماذا أيها (البرعم ما تزال مختبئًا داخل قَلَنْسُوَتِهِ الخضراء،
هل تخشى الخروج برأسك فيلتهمَك عُصفورٌ جائعٌ،
ما تزال مخاوفُك تحيط بك كقضبان سجن حديدي،
ألم أُخبرْك من قبلُ أنَّ هذا العالم قاسٍ على أمثالك،
لماذا وبعد كل هذه السنوات لم تتغيرْ نظرتك الورديّةُ للحياة؟
لماذا لم تنبت مخالبُك مثل كلِّ المخلوقات الشرسة القبيحة
التي تجرح لمجرد اللذة؟!

. "هل هذا معقول...أحاول مصالحتك منذ ساعتين، وأنت تتصرفين كطفلةٍ منعتُ عنها الحلوى...وكل هذه التصرفات من أجل لا شيء"..

. "لا شيء أيها الطبيب النابغ...تطردني من معملك كأني حشرةٌ غير مرغوب بوجودها، وتقول لي لا شيء"...

تَنَهَّدَ بزفرةٍ طويلةٍ:

."أولًا أنا لم أَقُمْ بطردك".

ساخرةً باستهزاء:

. "بالطبع لم تفعل...أنت فقط دفعتني خارج بابك وكأنني متطفلةٌ على خصوصياتك".

."(نبيلة)...".

قاطعتْه بحدَّةٍ، شامخةً بأنفها:

."دكتورة (نبيلة) من فضلك"...

كتم ضحكةً واضحةً مما زاد من حدة انفعالاتها:

. "حسنًا، يا دكتورة (نبيلة)...أعترف بخطأي...ورغم تحفظاتي على ردة فعلك...ولكن أعدك المرة القادمة لن أدفعَك خارج بابي بطريقة مهينة...سأكون أكثر كياسة".

."هل هذا يعني أنك ستطردني مرة أخرى؟".

قَلَبَ شفتيه مع حركةٍ من رأسِه:

."هذا يعتمد على رأيها في الموضوع".

."ومن تكون؟"...

قَهْقَهَ ضاحكًا وهو ينسحب من أمامها:

. "(نيَّرة) بالطبع...هيا سنتأخر عن موعدنا...أم أنك تريدين تفويت الدخول في هذا المكعب؟".

سبقته بخطواتٍ عسكرية قائلةً بِغِلٍ واضحٍ:

."لن أفعل ولو على قَصِّ عنقي...سنرى يا نابغة...أنا أو...(نيَّرة) هذه"...

."هل كل النساء يعتمدن الجنون في كل تصرفاتهن!؟".

."فقط عندما يواجهْنَ أطباء يماثلون حضرتك في العبقرية!"...

."تغمرينني بمجاملتك...سينتفخ غروري حتى الانفجار!".

."أرجوك لا تنفجر قبل أن أبتعد"...

."هل هذه نكتة؟".

فتح الباب فوقفت تُشيرُ له:

."تفضل..بالتأكيد صديقتك بانتظارك"...

شرع عينيه للأمام ليراها واقفة كعادتها أمام النافذة الزجاجية، وكأنّ بينها وبين جدتها حديثًا لا ينتهي....أو لم يبدأ بعد!

أومأ ل(نبيلة) بدون أن ينظر نحوها بينما يتجه ل(نيَّرة):

."موتي بغيظك...أعدي الجهاز..صديقتي بانتظاري بالفعل"...

هُيِّئ إليها أنه أخرج لسانه...وعندما أعادت النظر لوجهه، لم تر إلا ظهره وهو يتجه ل(نيَّرة) ...

."هل أنتِ جاهزة؟".

التفتت له ليلاحظ شيئًا غريبًا في ملامحها...تقدم باتجاهها يسألها بقلق: - "هل أنتِ بخير؟".

ابتعدتْ عن يدِه التي تُحاولُ ملامسَتَها قائلةً بارتباك: - "أنا بخير"...

."ولكن...يبدو على وجهك الإجهاد...ألم تنامي جيدًا؟!"...

أَلْقَتْ نظرةً على جدتِها الممدّدة، ثم عادت لتنظر له:

."سأكون بخير عندما تستيقظ...أين سنذهب اليوم؟"...

أفاق من شروده في ملامحها، ثم استدار يُحَدِّقُ في المكعبات يشير لأحداها:

."هذا يبدو متوهجًا...ما رأيك؟".

."لماذا لا نختار أحد المكعبات الخافتة...ماذا سنرى...؟".

."غالبًا لن نرى شيئًا...خفوتُها يعني أنها لا تتذكرها تمامًا، كيف سنراها نحن؟".

."أنتَ على حقٍّ!"...

شَعُرَ بتوتّرِها الذي انتقل إليه:

."ما الذي يقلقك؟"...

تجاهلتْ سؤالَه وأشارت للمكعّبات:

."هيا لنبدأ"...

."حسنًا...هذه الذكرى بعد (خمس سنوات) من الذكرى الأخيرة"...

هتفت (نبيلة):

."هل يمكن أن تكون قد تزوجت حبيبها؟".

اختلس (هشام) نظرةً متواطئة مع (نيَّرة)، ثم زَفُرَ بقوة:

."في الحقيقة...لقد دخلنا مكعبًا من دونك...وهي لم تتزوج حبيبها"...

تابع عندما لاحظ غَضَبَها الشديد:

."سأُطْلِعُكِ على كافة التقارير...كُفّي عن التحديق بي وهيا بنا"..

obeikandl.com

نَظَرَل(نيَّرة)؛ فأشارت له أنها مستعدة...

."ما هذا...أنا لا أرى أي شيء...(هشام) أين أنت؟".

."بجوارك يا (نبيلة)...اخفضي صوتَك...يبدو أننا في مكانٍ مظلم"...

هتفت (نيَّرة) بخفوت:

."إنها هنا، تجلس في الظلام على البلاط البارد"...

هتف (هشام): ."لماذا؟"...

وضعت يدها على فمه:

."شِشْ..أَنْصِتْ...إنها تتحدث مع نفسها!"...

. "ماذا فعلتُ بنفسي؟؟ ظننت أنني عندما أكونُ في ذِمَّةِ رَجُلٍ آخر ستتغيّر معاملتهم لي...ولكن يا لَلْعَجَبِ، ما تزال نفس الإهانات على نفس المنوال...(أبي) لا يتورع عن إهانتي حتى أمام الضيوف الغرباء، و(أمي) تسخر مني أمامهم وتخبرهم بنبرةٍ ساخرةٍ أنني كنتُ (ملهوفة على الزواج)، ألم تعلم أن لهفتي للتخلص من حياتي عديمة القيمة بينهم...ألم يَدُرْ ببالها لحظة أنني تعبت من التقليل من شأني بمناسبة وبدون!".

وأَجْهَشَتْ منخرطةً في بكاءٍ بصوت عالٍ، أمسكتْ (نبيلة) بذراع (هشام) هامسةً:

."ليتني أستطيع مواساتها...لقد مَزَّقَتْ نِياطَ قلبي، المسكينةُ!".

حَدَجَتْهُما (نيَّرة) بنظرةٍ غاضبةٍ؛ فَشَدَّ على يد مساعدته؛ لتصمت، وعادا ينتبهان للباكية تهتف من جديد بصوت مُتَحَشْرِجٍ:

."لماذا يتمادى في إهانتي كلما طالبته باحترامي؟...لماذا وافق على خِطبتي إن كان سيستمرُّ في معاملته لي بهذه الدونية؟...لمااااااذا؟...خطيبي يطلب مني

أن أكون كتابًا مفتوحًا أمامه، هل سيحتمل معرفة أيِّ هوانٍ أعيش فيه؟...ماذا سيظن بي عندما يعرف أن علاقتي بوالدي لا تزيد عن علاقة جلاد بسجينة؟ لم أشعر يومًا بحنانه، لم يغمرني بحب (الأب) لابنته...حتى (أمي) لم تكن يومًا صديقتي، ما يربطنا هي الأوامر التي يجب تنفيذها وإلا ستحيل قضيتي لجلادي...لابد أن أسعى لتغيير حياتي الجديدة...سأربّي أولادي بطريقةٍ مختلفةٍ، لن يعانوا معاناتي، سأكون لهم أمًا حنونًا، وأختًا وصديقة!"...

لَكَزَكتفَها؛ فانتبهت للطبيب الشاب يَهْمِسُ لها:

."هيا بنا نعود..هذا يكفي"...

أومأتْ بنظراتٍ حزينةٍ موافقة..

هتفتْ (نبيلة) بعد عودتهم:

."هذا فظيع...لا أستطيع تخيُّلَ إحساسِ تلك المسكينة!"...

."هذا لأن علاقتك مع والدك مختلفة".

. "اختلاف الليل والنهار...والدي هو جنتي على الأرض، حتى أنني أَقْرَبُ إليه من أخي (كريم)...لماذا كل هذه القسوة؟"....

الْتَفَتَ ليرى ردة فعل (نيَّرة)، وفوجئ أنها غير موجودة:

."أين ذهبت؟ أين هي؟".

شَهِقَتْ (نبيلة) مُشيرةً للنافذة الزجاجية:

."دكتور (هشام)...المريضة (نيَّرة)"...

وارتفع صوت (إنذار) جهاز رسم القلب ليَدْوِي في المشفى، معلنًا توقف قلبها!.....

المكعب التاسع
(وَعْدٌ بالسعادة!)

لا...إياك أن تفعلها، إياك أن تصرّق، هذا وهمٌ آخر، سرابٌ هيَّأتهُ الصحراء التي تعيشها داخلك، لا شيء منها حقيقي، تلك الأحاسيس اللذيذة الشهية مجردُ خيال، وتلك الوعود بالسعادة مجرد صوت عالٍ ليشتت انتباهك على الفخ، حتى أنت لم تعد ذلك (البرعم الصغير الساذج) الذي سيصدق ...
أرجوك لا تصدّق!

."هل يمكنك تفسير ما حدث يا دكتور (هشام)؟".

لَوَّحَ (هشام) بيديه بعجزٍ وقلق واضحين على ملامح وجهه المجهدة:

."حقًا لا تفسير لدي يا دكتور (بكري)...لا أعلم ما الذي حدث! كل شيء كان طبيعيًا تمامًا، قمتُ بنفسي بمتابعة حالتها مثل كل مرة، قبل القيام برحلة (مكعبات الذاكرة)"...

."لقد توقف القلبُ بشكل مفاجئٍ يا دكتور، وهذه علامة غير مُبَشِّرَةٍ، وبصراحة قد تهدد مستقبل مشروعك، لن أستبعد أن تسرع ابنتُها بسحب موافقتها، بل وقد ترفع قضيةً على المشفى وتتهمنا بما قد يتسبب بسحب ترخيصنا لأجل غير مسمى!".

.لن يصل الأمر لهذا الحد يا دكتور، لقد كانت حفيدتُها معنا، وشاهدةٌ على ما حدث بالإضافة لوجود (نبيلة) بالطبع"...

."حقًا!! ربما تكون هذه بارقة الأمل الوحيدة لك".

."يا دكتور (هشام)...(هشاااااام)!".

انتفض مجفلًا:

."لماذا تصرخين؟".

."لأنني أناديك منذ (خمس دقائق) وأنت سارح في ملكوت آخر!"...

قطب حاجبيه بتفكير:

."حقًا!".

."ماذا يشغلك...ولماذا تجلس وحيدًا في حديقة المشفى، وفي هذا المكان المغطَّى بخميلة خضراء لا تصلح إلا لعاشقين هاربين من العيون!؟".

openkanal.com

زجرها بعينيه قائلًا بتلميح ساخر:

. "أَوَ لطبيبٍ مجهَد ومنهَك، وقد فاض به، ويرغب ببعض الخصوصية!؟".

ارتفع حاجباها بدهشة:

."هل تقصدني بهذا التلميح؟".

."كل لبيب بالإشارة يفهم يا دكتورة"...

."احم...احم...حسنًا...هذا خطئي، ولكنني قلقة من أجلك!".

. "أليس لديك أي امتحان أو محاضرة تشريح تشغلك عن القلق من أجلي؟".

هتفت بجدية:

."(هشام)...أنت معتكفٌ عن البشر منذ أكثر من أسبوعين...أعلم أنك قلق بشأن (نيَّرة)".

نَكَّسَ رأسَه، قائلًا بتنهيدةٍ كبيرة:

."أنا قَلِقٌ بشأنها...آخر مرة كانت تبدو وكأنها على وشك الـ...".

وضعتْ يدها على فمه:

."ستكون بخير...هل ارتبطتَ بها لهذا الحد؟"...

هتف بابتسامة مجهدة:

."هل تغارين؟".

فوجئ باحمرارٍ غزا وجنتيها واغْرَوْرَقَتْ عيناها بالدموع، اعتدل في جلسته وقد ظهر عليه القلق، هتف وهو يمد يده بمنديل ورقي:

."(نبيلة)...عيناكِ حمراء، هل دخل فيها شيء!؟".

تَمْتَمَتْ بِحَنَقٍ من بين أسنانها:

."ذبابةٌ غَبِيَّةٌ...لا تفهم...ولا تشعر...ولا ترى أبعد من أنفها!".

هز رأسه ساخرًا:

."وهل للذبابة أنف؟ يا خسارة سنوات الطب المهدورة!".

وقفتْ تَهْتِفُ بِغَيْظٍ:

."أنت...أنت...مستحيل أن تكون (بني آدم طبيعي)...إلى اللقاء تأخرت على محاضرتي!".

راقب انصرافَها الدرامي ومَطَّ شفتيه بِزَفْرةٍ ساخرة....وعاد يرفع رأسه للسماء يفكر بمن تشغل وقته وأفكاره منذ اختفت بعد تعرضْ جدتها لتلك الأزمة القلبية، تَوَقَّعَ أن تلاحقه أمها بالدعاوي القضائية، ولكن إما أنها لا تهتم، أو أن ابنتها لم تُخْبِرْها...ما سبب اختفائها كل هذا الوقت؟...

لم يصدق صوتها الذي دوى في أذنيه في نفس اللحظة التي عجز عقله عن التفكير بأحد سواها:

."هل تفكر بي؟"...

انتفض مُجْفِلًا مرّةً أخرى يُحَدِّقُ بها، ثم خلع نظارته ومسحها بقوةٍ وعاد لارتدائها، يعيد تحديقه، وتمتم بنبرةٍ خافتة وكأنه يخشى أن تتبدد لو ارتفع صوته:

."(نيَّرة)...أهذه أنتِ حقًا؟!".

أومأتْ وهي تجلس بجواره وتتأمل الطبيعة الخضراء حولها:

."هذا المكان رائع بحق...هل تأتي هنا دائمًا...وحدك؟".

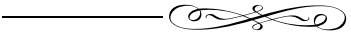

obeikandl.com

."(نيَّرة)...".

زاغت عيناها بشقاوة قائلة ساخرة:

."ألن تقول شيئًا غير..(نيَّرة)..(نيَّرة)؟!".

."أه...أعتذر...(نيَّرة) أين؟".

قاطعتْه ضحكتُها الرقيقة، صمت لحظات ثم شاركها عندما أدرك أنه نطق اسمها مرة أخرى:

."أنتِ السبب، اختفاؤك أسبوعين كاملين قد تسبب بـ...".

."هل اشتقت لي؟".

بتنهيدة عميقة هتف:

."نعم"...

سألته بعفوية:

."لماذا؟".

."لا أعلم...اعتدت الشعور بأنني كامل، لست بحاجة لأي مخلوق...حتى التقيت بك...إحساسي بالكمال ينقصه وجودك".

."دكتور...أنت تتجاوز العلاقة المفروضة بيننا".

."أنتِ لست مريضتي"...

وَقَفَتْ بدون أن تنفصل التحام نظراتهما:

."هل نذهب؟".

."لَمْ تسأليني عن حال جدتك!".

أومأت بنظرة مطمئنة:

."أعرف أنها بخير"...

ضاقت عيناه بتساؤلٍ فأردفت:

."لو كان هناك أخبار سيئة، والدتي أول من سيعرف".

.(لا قَدَّرَالله!...إنها بخير)...

فركت كفيها بتوق، وعيناها تلتمعان ببريق حماسي:

."أنا متشوقة لرحلة أخرى في ذكرياتها".

شاركها الحماس، بعد أن ظن أنه فقد تلك الشرارة للأبد:

."وأنا أيضًا...ولكن مساعدتي ذهبت لـ...".

."لسنا بحاجة لها...أليس كذلك...".

فَكَّرَ قليلًا ثم هتف وهو يمد يده لها:

."هيا بنا"...

انتهى من وضع المجسّات على رأسها...أومأت له أنها مستعدة وأغمضت عينيها.

فتحَ عينيه يتلفت حوله، جذبتْه خلف ستارٍ ثم وضعت سبابتها على فمها تدعوه للهدوء...من خلف الستار تابعا ما يحدث، كانت تقف بفستانٍ أبيض أمام المرآة تحدّث نفسها:

."أنا عروس...أنا عروس...هذه ليلتي...ليلة فرحتي، لا حزن بعد اليوم، لا دموع، لن أكون وحيدة...لقد وعدني أن تكون حياتنا الجديدة كلها حبًا وسعادة وتفاهمًا، وأنا أصدّقه...سأعمل معه لتنجح حياتنا، وتصبح كما نحلُم، سأحبه ولماذا لا أفعل وهو سيغمرني بحنان افتقدته بعدد سنوات عمري، سيعاملني بالاحترام الذي أستحقه، وسأكون له الزوجة التي يحلم بها، الليلة الجميع سيلتف حولي، سيحتفلون بي...وأنا سأكون سعيدة!".

obeikandl.com

الملعب العاشر
(كرَمات!)

هل تلومني؟ منذ ميلادك وأنا أحاول إعدادكَ لهذا العالم،
ولكنك لم تستمع لي ولو مرة واحدة، كانت العاصفة قوية،
كادت أن تخلعك من جذورك...ولكنها لم تفعل،
الصمود يعني القُوَّة،
كل هذه الجروح ستبرأ وستتحول بعدها ...
أتمنى أن تتحول للأفضل.

obeikandi.com

."خطأٌ يا دكتور (هشام)..خَطَأٌ فادحٌ...نحن لا ندير ساحة سوق شعبية هنا، هذه مشفى كبيرة لها اسمها وسمعتها، وما قمت به تهريج وعدم مهنية!".

."لم أفهم بعد يا دكتور (بكري) سر تعصبك لهذا الحد".

."وهذه مصيبة أخرى...".

. "دكتور (بكري) من فضلك، اهدأ قليلًا وأخبرني ماذا حدث لكل هذا الغضب؟".

. "حسنًا يا دكتور (هشام)...سأهدأ، وسأخبرك...هل قُمْتَ بتشغيل (مكعبات الذكريات) بالأمس؟"...

."نعم...لقد جاءت و...".

ضرب الطبيب الأكبر سنًا بقبضته على المكتب هادرًا:

. "بعد كل ما حدث للمريضة في المرة الأخيرة، تقوم بهذا العملِ غير المدروس بدون الرجوع لي، ماذا تسمي تصرّفك هذا يا دكتور؟".

. "لقد أخبرتك من قبل أن ما حدث للسيدة (نيَّرة) ليس له علاقة بالمكعبات".

. "أنت وحدَك قلت هذا...هل استشرت الفريقَ الطبيَّ...بالطبع لم تفعل...هل استشرتني؟".

."صدّقني يا دكتور...".

ضرب مرةً أخرى بقبضته على المكتب:

. "صدقني أنت يا (هشام)، أنت تحفرُ بيديك قبرَك، سَتَدْفِنُ فيه كل أحلامك ومشروعك للأبد إن استمررت باستهتارك!"...

."دكتور (بكري) أرجوك...".

obeikandl.com

رفع يده مقاطعًا:

."سَتُوقِفْ كل رحلات (مكعبات الذكريات) إلى أجل غير مسمًّى!".

هتف (هشام) بذعر:

."ولكن هذا مستحيل...دكتور (بكري) أرجوك!".

."هذا أمر مباشر من مدير المشفى يا دكتور...أي عصيان مقصود أو غير مقصود سيعرضك للمسائلة القانونية"...

هدر حانقًا ملوحًا بذراعيه:

."هذا القرار غيرُ منصفٍ بالمرة".

التقط الطبيب الأكبر سنًا أنفاسه وهدر بنبرة جافة:

. "سأعتبر أنني لم أسمع منك أي شيء، ولكن لا أنصحك باختبار صبري".

خرج متعصِّبًا ليصطدم ب(نبيلة) تقف أمام الباب على وجهها ملامح الذنب، صرخ باتّهام:

."هل كنتِ تتصنتين، هل أعجبك قرار والدك؟".

."(هشام) أنا...".

."وَفِّري اعتذارك...أعتقد أنك مفصولة من عملك معي بالتبعية"...

."(هشام) انتظر...هشـ...".

لم ينتظر، ودفعها بكتفه وانطلق تتبعه عواصفُهُ الغاضبة، نظرت لوالدها بعتابٍ فهتف:

."كل ما فعلته لمصلحة هذا الغبي، ولكنه لا يفهم...حُلمه يستولي على عقله ولا يترك مساحةً للمنطق، سيدمر نفسه!".

عقدت ذراعيها على صدرها بغضب:

"لذلك قررتَ أن تدمره أنت"...

هتف مصدومًا:

."أنتِ أيضًا يا (نبيلة)؟".

أمسكت بذراع والدها تستعطفه:

."أنت أكثر إنسان في هذا العالم تدرك أهمية هذا المشروع بالنسبة له".

."نعم أعلم...وقراري كان لحمايته، سيدرك هذا فيما بعد".

مرَّ أسبوع آخر، امتنع فيه عن الذهاب للمشفى، يكاد الاختناق يستولي على رئتيه، كلما كان بقرب معمله دون أن يستطيع الدخول إليه...لا يعلم عنها شيئًا...كم مرة ذهبت للبحث عنه، كم مرة عادت خائبة...زاد من الضغط على دواسة البنزين لتخترقَ السيارة سواد الليل الحالك، وفجأة انطفأت أعمدة النور الواحد تلو الآخر حتّى ساد الظلام الحالك من حوله مما صَعُبَ الرؤية إلا من مصابيح السيارة...حاولَ التحديق حوله باحثًا عن أي لافتة، أو أي مبنى يعرفُ من خلاله معالم الطريق...فجأة وكأنها نبتت في نهر الطريق، وجدها أمامه وعلى وشك الاصطدامِ بها...وبكل ما تبقى من أعصاب متماسكة ضغط بكل قوته على المكابح لدرجة أنه اشتم رائحةَ اشتياطِ الاطاراتِ الأربعة من شدة احتكاكها بالأسفلتِ إلى أن توقفتْ تمامًا...رفع رأسه عن المقود ينظر أمامه يتأكد إن كان اصطدم بها أم....

كان الطريق خاليًا تمامًا....هل صدمها فعلًا...أم أن خيالَه صوَّر له وجودَها في منتصف الطريق المظلم...

."هل تبحث عني؟".

وللمرةِ الثانية في أقل من (خمس دقائق) تظهر له من العدم، وهي تُطِلُّ من نافذة السيارة...

."دكتور (هشام)...هل أنت بخير؟".

أخيرًا استطاع إخراجَ صوتٍ غريب من حنجرته المتيبِّسة:

."(نيَّرة)...لقد أرعبتِني!"...

."هذا واضح...أعتذر!"...

."ماذا تفعلين في هذا الوقت المتأخر وفي هذا الطريق المظلم؟".

."هل الإجابة إجبارية، هل يمكنني الاستعانة بصديق؟"...

."لا..لا يمكنك أن تخرجي من المأزق بهذه الطريقة"...

هتفت ببراءة حولت كل البراكين المتأججة في رأسه إلى شلالات باردة:

."كيف يمكنني إذن؟".

زفر بانفعال:

."ادخلي السيارة يا (نيَّرة)"...

أطاعته بهدوءٍ، وانتظرت دقائق حتى هدأت أنفاسه تمامًا ثم تَمْتَمَتْ بِهَمْسٍ:

."آسفة"...

لوح بذراعه بتأكيد:

."كنت سأقتلكِ!" ...

ردت ببساطة:

."ولكن لم يحدث"...

."ألن تخبريني كيف ظهرتِ في طريقي فجأة!؟"...

obeikandi.com

. "مجرد مصادفة....كنت أفكّر بك، فجأةً وجدتُكَ أمامي...ماذا تفعل هنا...بحثتُ عنك طوال الأسبوع الماضي"...

. "كنتِ تفكرين بي! يا للصدفة العجيبة، أنا أيضًا كنت أفكر بك عندما...".

ثم نظر لها يتأمَّلُها باستغرابٍ شديد:

."هل تفكرين فيما أفكر به؟"...

هَزَّتْ رأسَها بقوّةٍ:

."أنا أيضًا اشتقت لها...هيا بنا"...

اتسعتْ ابتسامته وقد تصاعدتْ روحُه المعنوية للسماءِ بعد ضمورها في الحضيضِ لوقتٍ طويل، أدار المحرك وانطلق باتجاه المشفى...

اتبعت تعليماتِه بالتزام الهدوءِ أثناء السيرِ في أروقةِ المشفى المظلمة إلا من أضواء خافتةٍ...تخطيا موظف الاستعلامات النائم واتجها للمعمل بخطواتٍ سريعةٍ وخفيفةٍ.

ملأ صدره برائحة معمله التي اكتوى اشتياقًا لها، ثم سرح بتأمل أجهزته:

."هل اشتقت إليها؟"...

. "بل افتقدتها...التزمي الهدوء...سأذهب لجدتك لأعد اتصالها بالجهاز..لا تصدري أي صوت!"...

أومأت بابتسامة متواطئة...عاد بعد دقائق قليلة، وشرع بعمله بسرعةٍ وحماسٍ...ساعدته وقد انتقل حماسُه لها، سألتهُ بغمزةٍ:

."هل أصلح كمساعدة بدون لقب طبيبة؟".

ضاقتْ عيناه ثم قَهْقَهَ ضاحكًا:

."تبدوان كضرتين (أنتِ) و (نبيلة)...هل أنتِ مستعدة؟".

."أين ستأخذني هذه المرة؟".

."(سبع سنوات) بعد آخر ذكرى".

أغمضت عيناها وانتظرت بلهفة انتقالها لذكريات جدتها...

كان المكان مختلفًا عن المشهدِ الأخير...ويبدو أن سنواتٍ كثيرةً مرت...ولكنها كانت تقفُ أمام المرآة مثل المرة السابقة مع اختلاف كبير...

وضعتْ (نيَّرة) يدها على فمِها تكتم شهقتَها المفزعة وهي تتأمل جدتها تحدق بالمرآة وتتلمس كدماتٍ كثيرةً كادت تخفي ملامحها، أمسك (هشام) يدها وتمتم:

."تماسكي...لابد من تفسير منطقي...استمعي لها...تتحدث مع نفسها مرة أخرى":

."أنا لا أصلح كأمٍ...وربة منزل مريعة...وسيئة في تدبير أمورِ المنزل، وغير مطيعةٍ، وكئيبة، وأقلّ من أية امرأة يعرفها....وخالية من أيةِ مَيْزَةٍ ...أنا مجموعةٌ من العيوب مجتمعةٌ في جسد واحد...لا يرى أي شيء جميل بي....لا شيء...إذن أستحق الإهانة، والضرب...هل هذه هي حياتي المختلفة التي كنت أتطلع لها بسقف طموحات تجاوز عنان السماء...هل هكذا أصبحتْ؟ لا شيء...لا شيء!"...

ثم أَجْهَشَتْ بالبكاء وعادت تُحَدِّقُ بعينيها المكدومتين الحمراوين في وجهها المتورم:

. "ماذا فعلتُ لأستحقَّ هذا؟...أعلم أنني فعلتُ...احتملتُ ظروفَهُ الصعبة من دون أي تذمّر...ربيت أولاده، لم أرفع يومًا صوتي أمامّه، احترمته ورفعت من قدره أمام أهلي وهو لا يستحق، وفي النهاية...شعورُه بالنقص كان الغالب، كيف سأُخبرُ أهلي...وإن أخبرتهم ولم يفعلوا شيئًا، كيف سأحتملُ تجاهلَهم لما يحدث لي...هل أطلبُ الطلاق...هل سيقفُ أهلي بصفّي...لم يفعلوا من قبل...كيف سأعيشُ مع نفسي إن ارتضيتُ المهانة!"...

."(نيَّرة)...هذا يكفي...هيا بنا...(نيَّرة)"...

لاحظَ عينيها المغرورقتين بالدموع، وقهرًامخزونًا خلف رموشها المُبْتلّة.

أشاحتْ بوجهها عنه وعادت تنظرلجدتها تحدثُ نفسها في المرآة:

. "لن أسامحه أبدًا...لن أحاول النسيان، ستظل كدماتي حية بوجعها داخلي...خيانتُه وإهانتُه، وتقليلُه من شأني، وقهرُه لأنوثتي يومًا بعد يوم...ولكن الآن من أجل أولادي سأستمر...".

انتزعت (نيَّرة) الأسلاك من رأسها ووقفتْ تفرك يديها بغضبٍ هائل...لحق بها (هشام)، حاول تهدأتها فصرختْ مشيرةً بإصبعها ناحية النافذة:

. "لقد فعلت هذا بنفسها...لم تَثُرْ، كتمتْ ألمها وضَمَّدَتْ جراحها بيدها...لم يُرَبّتْ على كتفِها أحد ويواسيها...لم تمسحْ دموعها يدٌ غير يدها...لماذا...لماذا...لم تنل (جائزة نوبل)...لم تَحْصُلُ على أيةِ تَرْضِيَةٍ...في النهاية!"...

شَهِقَتْ باكيةً ثم أردفتْ بصوتٍ مخنوق:

. "في النهاية...أُنْظُرْ إليها...مُعَلَّقة بين الموت والحياة...لا يَعْبَأُ بها أحد...لا يسألُ عنها أحد...لا زوج، ولا أولاد...لا أخت ولا حتى حبيب!"...

."(نيَّرة)...".

صرخت:

. "لا تُحاولْ تهدئتي...أنا أيضًا لن أباليَ بها، ولا أرغب بالدخولِ في ذكرياتها، لا أريد أن أعرفَ لأي حد تسببتْ في شقاء نفسها"...

وقف (هشام) حائرًا ما يفعل، لقد كانت على حقٍّ، ولكنه استغرب من انفعالها الزائد...

هزت رأسها بزفرة ساخرة:

."لا شيء تضيفه؟ لا شيء..وداعًا يا دكتور ...لا تنتظرني لن أعود إليها".

obeikandl.com

obeikandl.com

المكعب الحادي عشر
(ابنتي الجميلة!)

أيها (البرعم) لقد أصبح لك (برعمٌ صغيرٌ)...
يبدو قويَّ البأس، يحتضنك بقوةٍ، كم يبدو جميلًا،
لا يشبهك أبدًا، سيصبح قويًا،
يبدو الصبر ليس من شيمه،
لا يُطِيْقُ البقاء داخل قَلَنْسُوَتِهِ
وهو ما يزال خدرًا أخضر!

opeikandi.com

استمرّتْ بطرق الباب بعنادٍ، كانت تعرف أنه بالداخل، بل متأكدةٌ وتكاد تُقسم، سيارتُه ما تزال أسفل العمارة، وبشهادةِ البَوَّاب، حضرة الطبيب اللامع لم يغادر شقته منذ أسبوعٍ كامل، إما إنه لا يرغب بفتح الباب لها، وإمّا يكون قد أصابه مكروه...

أثار رعبَها الخاطرُ الأخيرُ؛ فازدادت طرقاتها على الباب بيديها وبقدميها، متواكبةً بالضغط المستمر على الجرس...

انفتحَ الباب على نحو مفاجئ لتصرخ رعبًا عندما أطل ذلك الكائن الملتحي المشعث بعينيه الحمراوين، وملابسه المكرمشة وكأنّها خارجةٌ توًّا من جولةٍ ساخنة داخل الغسالة:

."أنتِي مين وعاوزة إيه؟".

.كان ذلك هو صوته...والذي يشبه (موتور جرار حرث زراعي)!

أشارتْ لصدرها مُتَلَبِّكَةً:

."أنا...أنا (نبيلة)...مش فاكرني يا دكتور (هشام)؟"...

امتدت يده لتطبق على عُنُقِها هادرًا:

. "هل توقظيني من نومي بهذه الطريقة لتسخرين مني...من سَلَّطَكِ لإزعاجي...هل هي (فتحية زوجتي)...هل هي (حماتي الخبيثة)...ألم يَكْفِها أنها خرّبت بيتي، الآن تدفع لك لتزعجيني!"...

بصعوبة كانت تحاول التقاط أنفاسها وهي تُبعد يَدَهُ على عنقِها بلا فائدة:

."من تكون ..فتـ.حية..هذه..اتركني...ستقتلني يا دكتور...(هشام)!"...

صوتٌ من الخلف كان المنقذَ غير المتوقع:

. "أُتركها يا رؤوف...الدكتورة كانت تقصد شقتي وطرقت بابك بالخطأ"...

استمر بهز عنقَها كأنها عصفورةٌ صغيرةٌ بين مخالب صقرٍ متوحّش:

."هل أنت متأكد يا دكتور (هشام)؟"...

كَتَمَ (هشام) ضحكتَه:

.أُتركها يا رؤوف، المسكينة ستسلم الروح بين يديك!".

زَمْجَرَ المدعو رؤوف:

. "حسنًا...أنت المسؤول...لو اتضح أنها مبعوثة (الشيطانة حماتي) ستكون أنت المسؤول!"...

."حسنًا أنا المسؤول!"...

لم تصدّق أنها تحررت أخيرًا، حتى الهواء الذي تتنفسه بشكل طبيعي كل يوم بدا في تلك اللحظة هبةً ودت لو سجدت لله شكرًا عليها...أسرعت لتختبئ خلف (هشام):

."(هشام)...اطلب مشفى المجانين لهذا المعتوه!"...

زَمْجَرَ رؤوف مُهَدِّدًا؛ فتراجعت حتى دخلت الشقة المقابلة واختبأت خلف الباب المفتوح تسمع (هشام) يحاول تهدئة جاره المجنون!...

عاد (هشام) لشقته يحدجها بعتاب:

."هل لاحظت أنك تشيعين الفوضى في أي مكان تدخلين فيه؟!".

obeikandl.com

عَقَدَتْ ذراعيها على صدرها تحاول إخفاء ارتباكها:

."أية فوضى...جارك المجنون هو السبب".

."لو لم تضربي بابه بيديك وقدميك، لما أغضبته لهذا الحد!"...

اندفعت:

."لم أفعل ذلك للمتعة، كنت أظنك ميتًا بالداخل!".

قَهْقَهَ ضاحكًا:

."جميل...وكنتِ ستنعشين قلبي بقبلة الحياة كأي طبيبة على وشك نيل اللقب بجدارة!؟"...

."بالطبع كنت سأف... انتظرْ هنا..كيف تعرف أنني كنت أضرب الباب بيدي وقدمي...هل كنت تراقبني؟"...

هز رأسه ضاحكًا:

." ظننت زلزالاً يضرب بيتي، ولكن كيف اختلط عليك الأمر، واعتقدتِ أنني رؤوف ، رغم الشبه المفقود بيننا؟".

." لابد أن هذا سيكون منظرك بعد أسبوع كامل من الابتعاد عن البشر".

.مط شفتيه بغرور:

"جميل أنني ساعدت في تغيير فكرتك عني...رغم أنه كان من الممتع رؤية ردّ فعل رؤوف بعد أن أزعجته بهذه الطريقة".

."كم أنا سعيدة أنني كنت السبب في إمتاع حضرتك يا دكتور!"...

أمسك ذراعها وهي تحاول الخروج:

."(نبيلة) انتظري...أنا آسف!"...

تبرّمت بانزعاج:

."لقد تأخرتُ...عن إذنك".

."لا تذهبي"...

نظرت لأصابعه الممسكة بذراعها ثم رفعت رأسها نحوه:

."جئت للاطمئنان عليك...واتضح لي أنه ما من داعي لقلقي أبدًا"...

."شكرًا لكِ"...

سألته بسماجة مقصودة:

"لماذا؟".

."لأنكِ قلقتِ من أجل شخص قليل الذوق مثلي"...

."و...".

اتسعت ابتسامته:

."وقليل الأدب".

زفرت بتنهيدة وصبر نافذ:

."و...".

ازدادت ابتسامته اتساعًا:

."وأي سباب ترين أنه مناسب لي...هل أنتِ راضية؟".

رفعت أحد كتفيها:

."إلى حد ما....سلام!".

."ستذهبين؟".

obeikandl.com

. "نعم...بالمناسبة...(والدي) يريد لقاءك...حاول الاتصال بك ولكن تليفونك دائمًا مغلق...

استغلَّتْ شرودَه لتتسلل من أسفل ذراعه، ناداها وهي تهرول على الدرج:

."انتظري...لماذا يريد لقائي؟"...

رفعت صوتها ليسمعها وهي تعرج على الدرج مسرعة:

."لابد أن تراه لتعرف...إلى اللقاء!"..

."جميل أن أعرف أنك ما زلت على قيد الحياة يا دكتور (هشام)".

أَطْرَقَ (هشام) رأسه بخجل وهو يصافح أستاذه:

."لو كنت أعرف أنك تبحث عني لجئت إليك فورًا".

."هل ما زلت غاضبًا من آخر حوار بيننا؟".

."في الحقيقة يا دكتور...".

رفع (بكري) يده وتابع:

. "بإمكانك استكمال أبحاثك، ولكن الدخول في (مكعبات الذكريات) بحساب...مرة واحدة كل أسبوع"...

اعترض بانفعال:

."ولكن يا دكتور...".

رفع يده مرةً أخرى؛ فالتزم (هشام) الصمت:

."لقد أجمع (كونسلتو الأطباء) أن ماحدث للمريضة (نيَّرة البهجوري)، كان من نشاط زائد في خلايا المخ لم يستطع جسدها الساكن

استيعابها...وأنت في المقام الأول يهمك راحة مريضتك...أليس كذلك يا (هشام)؟".

. "بالطبع...أكيد يا دكتور...حاضر...سأنفذ الأوامر...متى يمكنني البدء؟".

."الآن لو أحببت...ومساعدتك بانتظارك في المعمل"...

."مساعدتي؟!".

."نعم...تلك التي تسميها (دكتورة إلا ربع)...(نبيلة) (ابنتي الكبيرة)، وهي لا تخفي عني أي شيء...وكل بناتي الأربع، تجمعني بكل واحدة منهن علاقة خاصة جدًا"...

."ألست نادمًا لأنك لم تنجب أولادًا؟"...

. "وكيف أندم على قدر ليس بيدي كتابة حرف واحد منه...أنا (أبٌ) لبناتي...و (أخٌ) وقت النصيحة، وصديقٌ وقت احتياجهم"...

هَمّ (هشام) بمغادرة المكتب عندما عاد بتساؤل:

."هل تسمح لي بسؤال أخير؟".

أردف عندما أومأ (بكري) بالموافقة:

. "ماذا لو تعرضت إحدى بناتك لتعسف زوج قاسي...معاملة مهينة...ضرب مثلًا؟"...

احمرّ وجه (بكري) غاضبًا كما لو أنه يتخيل ما يمكن أن تتعرض له إحدى بناته:

."ما هذا السؤال يا (هشام)؟"...

openkanal.com

."المريضة (نيَّرة البهجوري) تعرضت لما هو أكثر، صمتت وتحملت لأنها لم تجد من يقف إلى جوارها...(أب) سلبي يمارس رجولته بالضرب والإهانة، و (أم) تساعده بشتى الوسائل...(أخوات) لم يتعلمن احتضان بعضهن البعض، و(زوج) يتفنن في إسقاط عقدته بالنقص عليها بشتى الوسائل...وفي النهاية كما ترى بنفسك، (ابنة عاقة) كل ما يربطها بأمها شيك حساب المشفى عن طريق المحامي كل شهر....لذلك سألتك هذا السؤال!"...

شَبَّكَ (بكري) بين أصابعه على المكتب...ثم نظر ل(هشام) متنهدًا:

."لا أعلم الغيب، ولا أضمن الحياة، ولكن طالما يتردد بصدري أنفاس، لن تشعر أي من بناتي أنها مُهانَة!".

أومأ (هشام) وحيّاه باحترام قبل أن يغلق الباب خلفه.

كانت (نبيلة) بانتظاره...عيناها تومضان بحماس:

."كل شيء جاهز يا دكتور...وقد حددت أكثر المكعبات وميضًا...والسيدة (نيَّرة) أيضًا جاهزة"...

أشار لها لتبدأ ثم التفت ينظر باتجاه النافذة الزجاجية وتمتم:

."ليتك معي يا (نيَّرة)"...

."هل تقول شيئًا يا دكتور؟".

."لا...أخبريني...هل لك ذراع، أو قدم ما في عودتي لمعملي؟".

احمرّتْ وجنتيها وهزت رأسها بالنفي:

."أنت تبالغ بقدرتي على إقناع والدي...في شئون العمل. (بابا)..أعني الدكتور (بكري) لا يقتنع إلا بما يراه صحيحًا...ثق بنفسك وقدراتك و...اختراعك يا دكتور...أغمض عينيك".....

صراخ مكتومٌ أول شيء أثار انتباه الدخيلين...هَتَفَ (هشام) بقلق:

."نحن في المشفى، يبدو أن (نيَّرة) تلد ابنتها".

همست (نبيلة):

."مسكينة...يبدو أنها تتألم...ورغم ذلك تحاول كتم ألمها!"...

. "انظري...لقد خرجت للحياة...و(نيَّرة) تتشوق لرؤيتها...انظري لهفتها لضمها!"...

. "لقد وضعوا الطفلة جوارها...لقد تناست كل الألم في رؤيتها لوليدتها...إنها تمسك بأصابعها الصغيرة...ما أجمل هذا المنظر!...ماذا تقول لها"...

تمتم (هشام) بضيق:

."اصمتي قليلًا ربما سمعنا ما تقول"..

."أنتِ ابنتي الصغيرة الجميلة...ابنتي أنا...قطعة مني...أنا وأنت سنكون مختلفين عن أية أم وابنتها...ستكونين لي سعادتي الغائبة، (ابنتي حبيبتي)، لن تؤذيك دنيا وأنا بجوارك...ستكونين سندي مُدَلَّلَتِي...كل ما حرمت منه سيكون لك!"...

والتفّتْ أصابع المولودة الصغيرة حول أصبع والدتها وهي تتأملها بعينيها الواسعتين السوداء الجميلة.....

سمع شهقات باكية فالتفت ليهدئ من روع (نبيلة) ليجد (نيَّرة) تراقب المشهد بمزيج من المشاعر المتضاربة...

اتجه نحوها فإذا بها تختفي...هتف مناديًا (نبيلة):

."هيا بنا لنخرج من هنا"....

لم يعطها الفرصة للاعتراض وخرج من (مكعب الذاكرة)...

دار حوله في الغرفة يبحث عن (نيَّرة)...سألته (نبيلة) باستغراب:

."عمن تبحث؟!".

."لقد كانت هناك...أنا متأكد...لقد رأيتها!".

."من هي..؟!"

أعاد شعره للخلف يكاد يشده غيظًا:

. "(نيَّرة)...(نيَّرة) يا (نبيلة)...كانت هناك...ولكنها اختفت فجأة كما ظهرت فجأة!"...

."(نيَّرة)؟".

."لماذا تنظرين لي وكأنني مجنون...لقد رأيتها ولم أتخيل..."،

."أنا أيضًا رأيتها"...

."حقًا...لماذا تنظرين لي وكأنني مجنون إذن!؟"...

."لقد رأيناها سويًا...تتحدث مع ابنتها الوليدة".

."لا...لا...لا أتحدث عن الجدة...بل الحفيدة".

."أية حفيدة يا دكتور؟".

."أنت لا تفهمين شيئًا...أو تتعمدين إغاظتي...سأذهب أبحث عنها ربما وجدتها في الحديقة".

راقبته حتى غادر المعمل بذهول...

obeikandl.com

الملعب الثاني عشر
(ذكرى داخل ذكرى!)

لنْ يكْسِرَكِ (برعمُك)،
ارفعي رأسك للشمس، واجهي الريح، (برعمك) منك،
قد يستبدّ به العناد، أو يحاول التحرر،
ولكن جذورَه متأصلة منك، أعلم أنك تعبتِ،
كان مشوارك قاسيًا، ولكن عودك أصبح أقسى،
علمته التجارب لقد تبدلتْ نظرتك البريئة الساذجة،
حتى لو كان (برعمك) يتنصل منك،
لن ينسى أبدًا أنك أمه!

.(بابا)...لماذا لا تصدِّقْني...أقسم لك...كان (هشام) غير طبيعي بالمرة!".

."عزيزتي...تعلمين تصرفات العباقرة أمثال الدكتور (هشام)"...

. "أعتقد أن الأمر تعدى العبقرية...طريقة حديثه، شروده المستمر، حديثه المتكرر مع نفسه...لقد تجاوز كل المعقول من وجهة نظري!"...

. "ربما يعود هذا لإرهاقه وتوتر أعصابه، لا أريده أن يلاحظ ردة فعلك تجاه تصرفه..(نبيلة) انتبهي (هشام) شخص حساس جدًا!".

زَفُرَتْ بانزعاج:

."سأحاول!".

هتف بتحذير:

."(نبيلة)...!".

غَمْغَمَتْ بزفرة تعب:

."لا بأس سأفعل...لا ترمقني بتلك النظرة أنا عند كلمتي"...

مرَّ أسبوع قبل أن يلتقي ب (نيَّرة) مجددًا ، كانت في حديقة المشفى تقف أسفل شجرة وارفة تراقب الطيور بملامح سعيدة..اقترب منها بحذرٍ يشاركها لحظاتها قبل أن تشعر به.

التفتتْ له متفاجئةً لوجودِه:

."دكتور (هشام)...هل أنت هنا منذ وقت طويل!؟".

."ليس كثيرًا..بما يكفي لأشعر بسعادتك!".

نظرت لأعلى مشيرةً للطيور:

."أُنظر إليها...حرة وسعيدة"...

."مثلك؟".

استدارت بهدوء قبل أن ترمقه بنظرة طويلة ويخرج صوتها بنبرة حزينة:

"لا...ليست مثلي"...

."أين كنتِ؟".

."هل بحثتَ عني؟".

. "انتظرتكِ...كل يوم..كل لحظة...كيف ظهرت في المرة الأخيرة..وكيف اختفيت بدون أثر؟!".

سألته بنبرةِ اتّهام:

."دخلتَ (مكعب الذكريات) من دوني!؟".

."نعم...(نبيلة) قالت...".

هتفت بانزعاج واضح:

."(نبيلة)؟ تخليت عني من أجلها؟".

انقبضت ملامحه باندهاشٍ:

."تخلّيت عنك؟ ماذا تقصدين لم أفهم!؟"...

قَلَبَتْ شفتيها باعتداد:

."لا أهتم في الواقع...لن تكون الأول ولن تكون الأخير!"...

أمسك كتفيها ليديرها لمواجهته:

."(نيَّرة)...صدقيني لا أعلم ما الذي تتكلمين عنه".

كانت عيناها مغرورقتين بالدموع:

obeikandl.com

. "أنا لا ألومك يا (هشام)...ربما هي لعنةٌ تطاردني...(جدتي) أيضًا لم يحبها أحد، كانت سيئة الحظ في كل أنواع الحب...حب الأهل...حب الزوج...حب الأبناء...حتى الحبيب تخلى عنها!"...

قَطَّبَ حاجبيه يحاول متابعتها وهي تكمل:

. "عندما رأيتها تتحدث مع وليدتها وكأنها ترسم حياتهما معًا...كم كانت سعيدة...كم كانت مفعمة بالـ...حب الحياة!"...

."شعور حب الأبناء شعور فطري".

صرخت بسيل من الدموع:

. "ولماذا لم يبادلها أولادها الحب؟!...أُنظر إليها...حبيسةُ غرفةٍ....ميتةٌ على قيد الحياة...لا أحد يمسك بيديها....لا أحد يهمس لها يساعدها تجتاز محنتها...لا أحد يطلب منها العودة لأنَّ حياتهم فارغة من دونها...كلهم بالخارج يعيشونَ حياتهم كما لو لم تكن يومًا تحتل جزءًا كبيرًا منها!"...

حاول مسح دموعها فأَجفَلتْ مبتعدة:

. "أرجوك...لا حاجة لي بك لتمسح دموعي...ما حَكَّ جلدَك مثلُ ظفرِك...ودموعي لن تمسحها إلا يداي!"...

وقَرَنَتْ قولها بالفعل، وهي تمسح دموعها بقوة بكفِّ يدها وتحدجه بعناد وتصميم...ثم لوحت بذراعها:

."هل نكمل؟"...

أدركَ أنها تتحدث عن (مكعبات الذكريات)؛ فأومأ بهدوء وأشار لها لتتقدمه.... شمخت بأنفها وتقدمته حتى وصلت لغرفة المعمل...أمسكت مقبض الباب ثم نظرت نحوه:

obeikandl.com

."ألن تستدعي مساعدتك؟".

هز كتفيه:

."لو لم ترغبي بوجودها؛ لن أستدعيها".

أقرت بجرأة:

."لا أرغب بها"...

بابتسامة شقت قلبَها نصفين هتف:

."ستكون ذكرى الليلة خاصة بنا..أنا وأنتِ فقط"...

لم يصدر منها أية رَدَّة فعل إلا التماع عينيها برضا وهي تَدْلُفُ للمعمل وتراقبه يغلق الباب ويوصده...ثم دخل لجدتها يطمئن على مؤشراتها الحيوية...عاد لها:

."ستكون بخير...هل اخترت ذكرى؟".

أشارت لأعلى:

."هذه تبدو مناسبة"...

."ليكن...هيا بنا"...

كان الصمت مطبقًا على نحوٍ مريبٍ...تبادل (هشام) و (نيَّرة) النظرات المستغربة...سألها بصوت هامس:

."أين نحن؟".

."هذا بيت جدتي القديم"...

فجأةً، ساد المكانَ ضجيجٌ وصراخ عالٍ...اختبأ المتلصّصان خلف أحد الأبواب ووقفا مشدوهين يراقبان ما يحدث...إذا بالابنة تصرخ بوجه أمِّها:

. "ماذا تريدين مني...لم لا تتركيني بحالي، أنتِ سبب كل مصائبي، أنتِ سبب كل معاناتي، الآن تريدين مساندتي، أين كنتِ عندما كنت بحاجة لك؟!"....

بخوف وصوت مرتعش هتفت الأم:

."ولكنني لم أتخل عنك قطّ!".

صرخت باهتياج:

."كنت تضربينني وأنا صغيرة"...

. "شيم كل الأباء...كانت قسوتي من خلف عيون قلبي...كنت ساترًا لك ضد قسوة والدك... وحاجزًا بينك وبين عنفه، أحيانًا كثيرة تقاسمت معك فورات غضبه".

لوّحت بيدها في وجه أمها بانفعال:

. "كنتما معًا في محاولات تجريدي من شخصيتي ومحوها لتسيطرا على مقادير حياتي كما يحلو لكما...أردتما التحكم في كل صغيرة وكبيرة حتى في صداقاتي...لن أسامحك أبدًا...أبدًا!"...

وضعتْ (الأم) يدها على قلبها الموجوع بتأثر فهتفت البنت باستهانة:

. "لا تحاولي استدرار عطفي، لن تؤثرَ بي حركاتك هذه...فأنا لن أشفق عليكِ أبدًا...كما لم تشفقي على حالي في صغري!"...

بصوت مبحوح النبرات هدرت:

."أنا...أنا لم أشفق عليكِ؟".

شَمَلَتْ أمَّها بنظرات مُتَهَكِّمة:

."كل ما أنا عليه من صنع يديك فلا تشيري بأصابع الاتهام نحوي"...

همت (نيَّرة) بالتقدم للدفاع عن جدتها، أمسكها (هشام) من مرفقها:

."اهدئي..كل هذا ماضي، تدخلك لن يغير من الأحداث كما تعلمين"...

كتمت غيظَها وتابعت المشاهدة عندما تغير كل شيء فجأة...

أظلمَ المكان وأشرق بضوءٍ باهرٍ خطف العيون، ثم ظهرت الجدة وابنتها كما لو كانا مرت سنوات منذ المشهد السابق، هتف (هشام) بانبهار:

."نحن بداخل ذكرى أخرى...هذا لم يحدث من قبل...رااائع!".

هتفت (نيَّرة) بانزعاج:

."شششش...دعنا نسمع...تبدو وكأنها مشادة أخرى بينهما"...

. لن أسمع لك ولا له...أنا حرة بحياتي أصنع بها ما شئت، تدخلكما لن يغير شيئًا، أنا مقتنعة بكل خطوة أخطوها".

."حتى لو كانت خاطئة؟".

."أنا كبيرة ومسئولة عن اختياراتي".

."لست كبيرة كفاية لتعرفي كيف تتعاملين مع أمك".

نَدَّتْ عنها زَفْرَةٌ ساخرة:

."تعرفين أن غلاوتك في قلبي كل يوم في تناقص"...

تهالكت الأم على أقرب مقعد جالسة عيناها تدور في ذهولِ صدمةٍ مما تسمع من ابنتها التي لم تكتفِ:

."لماذا جلست، هل صدمتك كلماتي...ربما تشعرين ولو قليلًا مما أشعرُ به في حياتي المجبرة معكم...أرجوكِ لا تحاولي استدرارَ عاطفتي بمرضك، نعم أنا لن أساعدَك في أشغال البيت، ولن أقوم بأي دور في حياتكم البائسة، حتى

الماء لن أناولهُ لك أو لأي فرد من هذه العائلة، هذهِ الحسنات سأتخلى عنها لأنها مِنكم!"...

بصوت مجروح من البكاء هتفت الأم:

."ماذا فعلت لك لأستحق كل هذا الجحود؟".

تشدقت الفتاة بكلماتها منتشية بكل حرف فيها:

. "لأنك ضعيفةٌ وأنا لا أريد أن أكون مثلك، مستسلمة لمصيرك ولم تثوري ولو مرة، كلما نظرت لك أقشعرُ رعبًا أن أتحول يومًا لامرأة في وضعك...ضائعة الحقوق من زوجها، ومن أهلها، و من الدنيا كلها!".

هدرت بنبرة ضائعة المعالم:

."حياتي ملكي أكيفها كما أشاء، أحافظ عليها من أجلك".

."وأنا لم أطلب منك هذه التضحية العظيمة...عيشي حياتك واتركيني أعيش حياتي".

عَمَّ الظلام مرة أخرى على نحو مفاجئ، هتفت (نيَّرة):

."(هشام)..ما الذي يحدث؟".

."يبدو أننا نعبر لذكرى أخرى"...

ها هو الضوء الشديد يعم المكان..

الهدوء يعم المكان هذه المرة ولا أثر لأي مخلوق.

سارا يتفقدان المكان الخالي حتى وجداها...كانت تقفُ أمام إحدى الغرف أسمى ملامح الفزع والرعب ترتسمُ على وجهها، والدموع متجمدةٌ في عينيها...

تحركَ كلاهما ليشاهدا ما يثير رعبَها لهذا الحد...كانت ابنتها ممددة على الأرض والدماء تتدفق من رأسها وتبدو شاحبةً، وكأن الحياة فارقتها.

الغريب أنها كانت لا تتحرك، ولا يرف منها جفنٌ...تمتمت (نيَّرة) بأسى:

. "لقد توقفت الدنيا بالنسبة لها...العالم كلُّه توقف عندما دخلت غرفة ابنتها لتراها بهذا الوضع...الدنيا دارت بها وعادت بها الذاكرة لأول لحظة وقعت عيناها عليها...والآن وقد أوشكت فرحتها على الاكتمال، وطفلتها قاب قوسين أن تزف لعريسها...هذه اللحظة التي تجمدت داخلها وستأخذها معها للقبر....لحظة لن تنساها أبدًا!"....

."هل أصبحت بخير فيما بعد...أعني أمك؟".

. "نعم...ولكنها لم تشعر أبدًا بالكدمة التي أحدثتها في قلب جدتي...عندما تسببت لنفسها بهذه الحادث...نعم هي ضربت رأسها وتسببت لنفسها بجرح قاطع"...

وَقَفَتْ خلف جدتها تراقبها تحتضن ابنتها بقوة لصدرها...اغْرَوْرَقَتْ عيناها بالدموع...أمسكها (هشام) من كتفيها:

."هيا بنا...هذا يكفي"...

وافقته بإيماءةٍ صامتةٍ.

obeikandl.com

الملعبُ الثالثُ عشر
(خيانة!)

حسنًا...لقد أُصبحتَ جاهزًا لتسلك ذلك الطريق الآخر
الذي ترددت طويلًا للسير فيه،
كن جزءًا من هذا العالم ستعيشُ أُطول،
وتوقُفك حائطَ سدٍّ جعل منك هدفًا سهلًا لرمياتهم...
قاوم طبيعتك الليّنة، وخوفك من كل شيء،
وعش ما تبقى من حياتك كما يفعلون!

openeikanadl.com

. "اهدأ يا (هشام) وأخبرني بدون انفعال، ما الذي يحدثُ معك...وبكلماتٍ مفهومةٍ من فضلك...خذ بعض الأنفاس...نعم...تروى وابدأ الحكاية من البداية".

أطاعه (هشام) رغم الحماس الذي أخذ يحرق كل ذرةٍ أكسجين تدخل رئتيه...ثم بدأ بالكلام من جديد:

. "تطورٌ رهيبٌ في اختراعي...في كل مرة كنا نختار أكثر المكعبات توهُّجًا...ولكن المرة الأخيرة...".

قاطعه الدكتور (بكري) بعتاب:

."ومتى كانت المرة الاخيرة؟".

صمت (هشام) لحظة ثم تجاهل السؤال وأكمل بحماس:

. "المرة الأخيرة كانت رهيبةً...وكأننا ننتقل داخل حجراتٍ في عقلها...تنقلنا بين ذكرياتها وكأننا أمام (شاشة سينمائية) تختار ما نشاهده ما يتعلق بموضوعٍ ما...رهيب...رهيب يا دكتور (بكري)، وكأن المكعبات أصبحت لها إرادةٍ ذاتيةٍ تنقلنا عبرها بدون تدخل منا"...

. "عظيم...عظيم...(هشام)...هل ترى أو تتحدث مع أشخاص لا يراهم أحدٌ سواك؟".

بوغت (هشام)؛ فَكَزَّ على نواجذه وضرب بقبضته على حافة المكتب:

."إنها (نبيلة)...أليس كذلك...تتهمني بالجنون الآن وكأنني ...وكأنني....".

. "اهدأ يا (هشام)...(نبيلة) تهتم بصالحك وهي قلقةٌ عليك...هذا كل شيء"...

obeikandi.com

. "عفوًا يا دكتور (بكري)...ولكن هذا أمر غير مقبول بالنسبة لي...ولو سمحت لي فهي المجنونة فهي تتحدث عن (نيَّرة) وكأنها...وكأنها...ضرتها"...

قَهْقَهَ (بكري) حتى دمعت عيناه فشعر (هشام) أنه تجاوز الحدود فأطرق معتذرًا:

."عفوًا يا دكتور...لم أقصد التجاوز!".

. "لا بأس! (نبيلة) ابنتي أعرفها جيدًا، أحيانًا تشبه القطة التي تبتلع صغارها لتحميهم".

."وأنت أيضًا يا دكتور...تفعل المستحيل لحمايتها...أليس كذلك؟".

."بالتأكيد...(هشام)...سؤالك له علاقة بالمريضة؟".

أعاد (هشام) ظهره للخلف بتنهيدة طويلة وهو يَذْخُرُ أفكاره:

. "في الحقيقة نعم...ربما أكون الآن أكثر شخص في هذا العالم يتمنى لو تُفيق من غيبوبتها!"...

. "ورغبتك هذه مدفوعة بتوجهات عملية متعلقة بمشروعك؟ أم إنسانية؟".

. "ربما في البداية كانت بالنسبة لي مجرد مشروع...ولكن الآن بعد أن عشت معها أغلب ذكرياتها التي تركت أثرًا في حياتها، أرغب بشدة أن أمسك بيدها و....".

دخلتْ مقاطعةً بعاصفةٍ مزعجةٍ:

. "تمسك بيدها وترمش لها بعينيك القاتلة فتسقط صريعة هواك، ووقتها تستحق لقب طبيب القلوب عن حق!".

هتف والدها بانزعاج:

."(نبيلة)...هل جننتِ؟".

. "هل تسمع ما يقول يا دكتور ولا تعلق...هل هذه آداب المهنة التي أقسمتم عليها (قسم أبوقراط) يا محترمين!".

تبادل الرجلان النظرات ثم انفجرا في الضحك وهي واقفة يستولي عليها الذهول...وقف (هشام) متجاهلًا وجودها تمامًا:

."أستأذن بالانصراف يا دكتور...وبالنسبة للموضوع الذي كنا نتحدث فيه قبل أن يتم مقاطعتنا...سوف نكمل فيما بعد"...

أومأ (بكري) بدون كلام ولاحقه بنظراته حتى مرَّ من جوار (نبيلة) التي ازداد غيظُها عندما تجاهلها للمرة الثانية حتى غادرَ المكان...نظرت لوالدِها وضربت بقدمها الأرض بطريقة طفولية:

."بابا..".

."هل تحبينه لهذه الدرجة؟"...

تَجَمَّدَتْ مكانها مصعوقةً، وقد ساد الاحمرار وجنتيها وشعرت بسخونة رهيبةٍ تخرج من أذنيها وصاحت بِتَلَعْثُم:

."ما...ذا..تقول...بابا...هل أنت...".

رفع يده مقاطعًا:

. "لقد وصلتني الإجابة...(هشام) شاب ممتاز ومستقبله واعد...ولكن...هل يحبك؟".

وصلت للمقعد المقابل للمكتب وجلست عليه بطريقةٍ عفويةٍ، وهي تلوح بذراعيها بانفعال:

."كأنني والعدم سواء في عالمه، أو هو يعيش في عالمٍ منفصلٍ عنا...

مشروعه هذا سيسرق عمره، وعقله...أنا متأكدة".

بحنكة أب لاكته التجارب:

. "أنتِ فتاة ذكية، جِدِي طريقًا لقلبه، هو مجرد رجل...في الأمثال القديمة يقولون: (أقرب طريق لقلب الرجل معدته)...أنا واثق أنه يوجد طريق ما لقلب هذا الرجل"...

وضعت يدها على وجنتها متمتمةً بيأس:

."كان (اكتشاف ماجلان لكروية الأرض) أكثر سهولة!".

."هل هذه اليائسة هي ابنتي المكافحة؟"...

."هل ترى أملًا يلوح في الأفق؟".

. "بالتأكيد....ولكن لا تتهميه بالجنون مرة أخرى ولو رأيته يتحدث مع صورته في المرآة...تفهّمي جنونه".

. "حاضر...أسمع أن طريق الحب مغلق الأبواب والسدود، ولم يخبرني أحد أنه أيضًا مفعم بالجنون!".

."ستتعلمين مع الوقت أن الجنون هو أيسرُ عراقيل الحب...هيا الحقي به وعيشي لحظاتِ جنونه...لو كان حبك حقيقيًا سيصمد"...

دخلتْ بعد طرقة خفيفة على الباب، لم يشعر بوجودِها، كان سارحًا في دوامة من الأفكار المتشابكة المتضادة...

."دكتور (هشام)...دكتور...".

أَجْفَلَ واقفًا، ثم هدأَ عندما رآها، غضّ بصره وهتف متهكمًا:

."أهلًا يا دكتورة...هل رأيتني وأنا أتحدث لمخلوق فضائي، يعمل متخفيًا لضمان سرية المكعبات؟".

."لست ظريفًا بالمناسبة".

."أحاول مجاراتك"...

. "هل نبدأ من جديد؟ أنا (نبيلة بكري)...(دكتورة إلا ربع)....جئت مساعدة لك بتوصية من الدكتور (بكري)"...

حاول منع ابتسامته من الاتساع ولكنها غلبته في النهاية فمدّ يده:

."دكتور (هشام عصمت محمد)"...

."أعرف...هل نبدأ؟".

قالتها وهي تجول بعينيها على المكعبات وقبل أن يجيب أشارت لأحد المكعبات:

."هذا المكعب يتوهج..أُنظر".

."نعم...يبدو مناسب...سأعد المريضة".

."وأنا سأعد الجهاز"...

."مستعدة؟"...

."نعم...وأنت؟"...

."هيا بنا...هل أخبرتك عما حدث في المرة السابقة؟".

."لا...".

."سأخبرك فيما بعد...ربما يتكرر ما حدث اليوم....فلا تتوتري!"...

."وماذا حدث؟"...

هتف متبرمًا:

."سأخبرك عندما يحدث...أغمضي عينيكِ".

."أطاعته بحماس!"...

opeikandi.com

تفرّسَتْ في المكان حولها ثم همست:

."هذا المكان ليس غريبًا...نحن في عيادة طبيب"...

."نعم..وها هي جالسة بانتظار دورها...تبدو قلقة!"...

."الممرضة تنادي باسمها...هل سنتبعها؟".

."سنحاول...".

."أنت قلت أننا ربما نكون مرئيين".

."وربما لا نكون...لم لا تصمتي لنرى"...

مرا أمام الممرضة بسلام فلم تلاحظ وجودهما...ابتسم (هشام) بانتصار...ثم انتبه لوجه (نيَّرة) وهي تستمع للطبيب وهو يخبرها أنها تعاني من (تورم سرطاني من النوع الخبيث)...ولدهشتهما كانت تبتسم وهي تحوقل بتمتمات غير مفهومةٍ...ظنها طبيبها مصدومةً من الخبر، ولكنها نفت بالابتسامة نفسها:

."على العكس...أنا سعيدة أن هذا الابتلاء كان من نصيبي، ولم أفجع في أحد أولادي، أو أحد عائلتي...وقتها كان الموت لي أهون من أن يصيب أحدهم...أما عني فأنا قادرة على نفسي وسأحتمل نصيبي!"...

فجأةً، تجمدتْ الصورة وتحول الطبيب ومريضته لتمثالين لا يتحركان.

أمسك (هشام) بكف (نبيلة):

."استعدي!"...

."لأي شيء؟"...

."سننتقل لذكرى أخرى"...

."ولكن...كيـ...".

obeikandl.com

وفجأةً، تبدل المشهد قبل أن تكمل كلمتها، كانت (نيَّرة) تجلس في أحد غرف بيتها، تبدو شديدة الإعياء وقد فقدت كل شعرها، ورونقها وبدت أقرب للأموات منها للأحياء...تلفتت (نبيلة) حولها ثم تساءلت:

."المسكينة تبدو وحيدةً...ألا يراعيها أحد؟!"...

أجابها (هشام) بتنهيدةِ أسى:

. "يبدو أنها كالعادة وحيدة تمامًا... أنها تكتب مذكراتها...سأحاول التسلل خلفها وقراءة ما تكتب".

أومأت (نبيلة) وهي تحذو حذوه حتى اتخذا الوضع المناسب للقراءة:

. "لقد أخذت الجرعة الرابعة من علاجي الكيماوي...حاولت قدر استطاعتي ألا أحدث جلبةً كبيرةً مِن حولي...بعد إصراري أن يصطحبني زوجي في البداية، اضطررتُ أن أمارس معه هوايتي المعتادة...اختبار الإخلاص...والذي غالبًا ما رسب فيه معظم من أخضعتُهم للاختبار...لم أوقظه ليذهب معي عند ذهابي للمشفى في الجرعة الثالثة...لم يحاول حتّى الاتصال إلا في آخر الوقت...ثم عرضَ أن يأتي لاصطحابي...عرضًا باردًا لا حياة فيه، لم أتمسّك به...كنت مصرة على أن أنهي الاختبار للختام...

كان يومًا شاقًا بكل ما للمشقة من معنى...لم أدخر وسعًا في الإسهاب بوصفِ يومي...وتكررت المشقة بكل تفاصيلها في كل مرة...ولم يُشْفِقْ زوجي على حالي!".

."(هشام)...لقد توقفت عن الكتابة...يبدو...".

."أننا ننتقل لذكرى أخرى"...

تغير المشهد مرةً أخرى..كانت تجلس وحيدة في غرفة أخرى...تبدو أفضل حالًا من الناحية الجسدية... شعرها بدأ بالنمو...ولكنها لم تَبْدُ بخير:

."(هشام)...ماذا تفعل؟".

."لا أعلم...تبدو وكأنها رأت شيئًا أزعجها في الهاتف؟".

."ليس هاتفها...انظر هاتفها بجوارها...ربما يكون لزوجها"...

وضعت الهاتف جانبًا وأمسكت هاتفها وأجرت اتصالًا:

."ألو"...

."(هشام)...مع من تتحدث؟".

حدجها بنظرة نارية:

."اصمتي لنعرف؟".

."لن تصدقي ما وجدت على هاتفه...زوجي يخونني...نعم...وكل خيانته لي أثناء مرضي!"...

ترنَّحتْ (نبيلة) متمسكة بذراع (هشام):

."(نبيلة)...ماذا بك؟".

."أخرجني من هنا...أسرع أرجوك يا (هشام)...أنا على وشك التقيؤ!"...

ساعدها على الخروج...لتركض نحو الحمام وتبدأ بالتقيؤ...انتظرها بقلق حتى عادت، شاحبة كالأموات:

."ماذا حدث؟".

."لم أحتمل الشعور بإحساسها...كان مقيتًا، كيف يجرؤ...كيف يجرؤ؟!".

."اهدئي!"...

obeikandl.com

صرخت باهتياج:

. "لا...لن أهدأ...هل كل الرجال مثله...هل أنت مثله؟ أجبني يا (هشام)...لماذا يفعل؟ ما يفعل...ماذا جَنَتْ؟!".

. "هي جنت على نفسها...عندما ظن أن دماثة خلقها ضعفًا....عندما ظنّ تغاضيها عن المشاكل انكسارًا".

. "هل هذه حياة...أم حرب؟ (هشام) أنا آسفة...أنت لا ذنب لك في انفعالي!".

."ربما ما رأيته كان صعبًا...لأن والدك رجل مختلف!".

. "نعم ....أحمد الله على والدي...لا أتخيل أن يكون سندي في الحياة ظلال كالرجال في حياتها...سوف أذهب، اسمح لي...سأحدثك عندما أهدأ".

أومأ لها وفتح الباب:

."سأنتظر اتصالك لأطمئن!".

ردت عليه بشبح ابتسامة وغادرت.

التفت لمريضته ينظر لها عبر النافذة الزجاجية:

."أين أنتِ يا (نيَّرة)؟".

obeikandl.com

المكعب الرابع عشر
(ذكرى سعيرة!)

ولم لا؟ لم تسمح لنفسك لأمر طويل أن تستمتع،
وهي مجرد ذكرى سعيرة، في الواقع أشياء كثيرة جدًا
حرمتها على نفسك بلا ضرورة، أعلم ...كنت ترغب أن
تعيش حياة هادئةً هانئةً،
ولكنك لم تحصلْ إلا على القدر الميسر لك
بدون كفتي ميزان تزنان بالقسطاس!

obeikandl.com

أصواتُ تَكَسُّرِ أمواج المياه على الأحجار المائلة على شاطيء النيل، مَنَحَتْ المشهد بعدًا شاعريًا، بينما (نبيلة) للمرة الأولى تشارك (هشام) لحظات تحسب من عمرها في ذلك المكان.

."هل أنتِ بخير الآن؟".

أَوْمَأَتْ برأسها، قائلةً بصوت مُتَحَشْرِجٍ:

."أعتذر عما حدث...لم يكن تصرفي احترافيًا...كطبيبة!"....

وضع يده على فمها:

."كان إنسانيًا...تصرفك لا غبار عليه، والطبيب يجب أن يكون إنسانًا قبل أن يكون معالجًا!"...

فَرَكَتْ يديها بعصبيّة: "هل...ضايقتك؟".

."بالنسبة لطبيب مجنون أعتقد أن تصرفك طبيعي!"...

لَكَمَتْهُ في صدره بخجل:

."أنت تسخر مني أليس كذلك؟!".

أغمض أحد عينيه بغَمْزَةٍ:

."لو كنتِ مكاني ما فَوَّتِ هذه الفرصة الذهبية!".

."أنت غليظ"...

."وأنتِ مُدَلَّلةٌ"...

."كل فتاة من حقها الدلال والتدليل من والدِها وبعده زوجها"...

تَجَهَّمَ وجهُه فجأةً فأدركت أنه تذكر مريضته وما حدث معها...وضعت يدها على ركبته: ."آسفة...لم أقصد"...

لوح بذراعيه متسائلًا بحنق:

."لماذا...لماذا يظن كل رجل أن رجولته تنبع من صوتِه العالي الخشن، أو من تفوُّقه بالقوام...أو من تكبُّرِه وتعاليه لمجرد أنه يخرج للعمل وهي في البيت تعتني بشؤونه وتربي أولاده...لماذا تكون هي المخلوق الأدنى لمجرد أنها مخلوقةٌ ضعيفةٌ...هل هذه هي الرجولة من وجهة نظرهم...هل هم عميان لهذه الدرجة؟ أم أن هذه درجة من درجات الساديّة، وما يظنونها قوامة هي في الواقع وسيلة تعذيب لمخلوقة خلقت من ضلعه!؟".

حدجته بنظرة إعجاب وسألته:

."لو أفاقت السيدة (نيَّرة) من غيبوبتها ماذا ستكون ردة فعلك!؟".

حدجها بنظرة لم تفهمها وهو يقول:

."سوف أركع أمامها...وأمسك بيدها...".

وضعتْ يدها على فمها شاهقة، وذكرت ذلك الموقف الذي فهمته خطأ يضربها، بالمشاركة مع نظرات (هشام) المعاتبة:

."يبدو أنني مدينة لك باعتذار آخر".

. "لا بأس...أضيفيها لصحيفتك السوداء عندي...وسوف نتحاسب قريبًا!".

."هل دخلت المكعبات بعد ...بعد ما حدث؟".

."أنتِ لم تأتِ، وهي لم تظهر منذ وقت طويل"....

صمتتْ لحظات تحاول العد حتى عشرة، ثم سألته بينما شرد في عالم آخر:

."ومن هي التي لم تظهر...(هشام)...(هشام)؟".

وقفَ فجأة ومد يده في جيب بنطاله وأخرج عدة عملات نقدية:

."هيا بنا...".

نظرت بأسى لكوب الليمون الذي لم تنتهي منه:"ولكنني لم...".

لم يسمعها وهو يغادر المكان بخطوات سريعة...تبعتْه، تكاد تتعثر من سرعتها للحاق به.

أوقف سيارة أجرة، فتح الباب الخلفي وانتظر حتى دخلت؛ أغلق الباب لدهشتها وطلب من السائق توصيلها....قبل أن تحتجّ كان يقطع الطريق ويركب سيارته وينطلق بها!...

لم يدرِ ما حدث له...عندما ذكر اسمها...فجأة تَهَيَّأَ له وكأنه يسمع صوتها، لم تكن تتحدث إليه...لم تناديه...كانت تتحدث مع نفسها ...ولكن لماذا هذا الشعور المتضخم بها...وفوق كل هذا لقد رصد مكانها، وكأن رابطًا ما يربط بينهما...كان يراها بعين خياله تقف أمام النافذة الزجاجية لجدتها...تغاضى مرة أخرى لسبب غامض عن سؤال نفسه عن كيفية اقتحامها غرفة المعمل، رغم أن مفتاحها الوحيد معه.

وصل للمشفى في وقت قياسي، الطريق من البوابة لغرفة المعمل كانت عادة تستهلك (خمس دقائق) بخطواته السريعة، ربما (الأدرينالين)، وربما...شيء آخر لا يعلم كنهه يثير حماسه ويدفعه بقوة نحو المجهول.

عبأ صدره بدفعات من الهواء ثم فتح الباب ليجدها كما تخيلها تمامًا: ."(نيَّرة)..".

استدارت بابتسامة ناعمةٍ جعلته يقرر ألا يخبرها عن رحلته السابقة المحزنة في (مكعب الذكريات)...ركضت نحوه بلهفةٍ وأمسكت يديه:

. "(هشام)...أشعر أن جدتي ستُفيق من غيبوبتها...نعم لقد حلمت بها وهي أخبرتني أنها تحارب وأنها لن تيأس أبدًا!"...

."هذا رائع...حقًا...رائع..!".

."أنت أيضًا سعيد؟".

. "نعم...متشوق للحديث معها....أشعر كأنني أعرفها طوال حياتي...نعم أنا سعيد بهذا الخبر!".

."إذن دعنا نبحث عن ذكرى سعيدة لها في مكعباتك"..

."وكيف سنعرف إن كانت سعيدة؟".

."أنا سأعرف..".

وتركتْه ووقفت أمام المكعبات وأخذت تحدق بالشاشات الكثيرة أمامها ثم أشارت لأحدها:

."هذه...هذه ذكرى سعيدة!"...

قطّب حواجبه ومط شفتيه بحيرة:

."كيف...؟".

أمسكته من يده ولم تتركه يكمل:

."هيا...أدخلنا بسرعة...واليوم لا تتكلم أبدًا!"...

طاوعها بحماس يحاول مجاراتها، وبدأت الرحلة.

كان المكان مختلفًا عن أية ذكرى...مكان رومانسي تصدح الموسيقى الكلاسيكي الناعمة في جوانبه، إضاءة خافتة...كل مائدة يجلس عليها رجل وفتاة يتهامسان ويتداعبان....أشارت له بعيدًا في أحد الجوانب البعيدة:

.انظر...أنها هنا...تجلس هناك بصحبته

obeikandl.com

كان المكان مختلفًا عن أي ذكرى...مكان رومانسي تصدح الموسيقى الكلاسيكي الناعمة في جوانبه، إضاءة خافتة...كل مائدة يجلس عليها رجل وفتاة يتهامسان ويتبادلان الابتسامات الشغوفة....أشارت له بعيدًا في أحد الجوانب البعيدة:

."انظر...أنها هنا...تجلس هناك بصحبته".

."من معها...جدك؟"...

. "وهل ستكون مشرقة هكذا وهي بصحبة جدي، وهل كان جدي سينظر لها بهذه الطريقة وكأنه ملك نجوم السماء بين يديه!".

."تعالي نقترب لنسمع"...

."اليوم لا أريد أن أسمعها...يكفي أن أتأمل الفرحة التي لم تعرف طريقًا لوجهها، وهي الآن ترتدي حلتها...تلون وجنتيها بحمرة فتاة لم تعش مشاعر مراهقتها خوفًا من بطش والدها، وعيون تلتمع ببريق عاطفة حرمها منها من ظن أنه يمارس رجولته بقهر أنوثتها!".

هتف (هشام)، بذهول وهو يتفرس في كل خلجة تهتز في ملامحها، أدارت وجهها لتتابع المشهد، لم تر الرجل بصحبتها، جُلُّ اهتمامها كان منصبًّا عليها وكأنها تحفظ ملامح السعادة التي أشرقت على وجهها بعد طول غروب!

بعد وقتٍ طويل في المراقبة هتفت (نيَّرة) دون أن تزيح عينيها عن جدتها:

. "كانت تعلم أن هذه السعادة ليست من حقها، هاتفٌ داخلها كان يحاول إيقاظ وعيها، الذي استغل فرصة السعادة غير المنتظرة وأخذ قيلولة...ولكنها لم تعلم قطّ أنها ستَكْفُرُ بكل حرف من حروف الحب الثلاث...وبسبب هذا الرجل أيضًا!".

سألها (هشام) بدهشة:

."ولكنه يحبها...هو حبها الأول!".

."هذا الرجل لا يعرف من الحب إلا حروفه التي يستعملها بكرم مع كل امرأة شاء سوء حظها أن تقع بطريقه!"...

."هل يخدعها باسم الحب؟".

."لقد اكتشفت حقيقته بعد أن ...دَمَّرَكل معتقداتها عن الحب!"...

استدار(هشام) ليتفرس بملامح الفرحة على وجهها ويتذكر بأسى جبال الهموم التي ستقع على كاهلها فيما بعد...خاصة وقد خذلها الحب أيضًا...

."(هشام)...هيا بنا...".

وافقها بإيماءةٍ خفيفةٍ...

كانت تلك الابتسامة ما تزال تلون شفتيها:

."تعرفين أن نهاية تلك الذكرى مؤلمة؟"...

. "لا يهم...ولكنها عاشتها بكل تفاصيلها...لقد عاشت كل لحظة حزنٍ وألمٍ بكل تفاصيلها....فلماذا نستكثر أن نعيش كل (فيمتو ثانية من السعادة)!"....

كان يطبق شفتيه ولكن عيناه تقولان الكثير...

. "أعرف ما تفكر فيه...أنت تفكر بتصرفها كرجل شرقي...تدينها أليس كذلك...امرأة متزوجة تلتقي بحبيبها القديم سرًا، إذن صدر الحكم (مذنبة...مذنبة)!"

."أنا لم...".

قاطعته:

. "بلى...أَدَنْتِها...إن لم يكن بلسانك، بعقلك الشرقي، أو بأفكارك التقليدية، أو بميزانك الذي تزن فيه بمكيالين، مكيال لتصرفاتك...ومكيال لتصرفات الآخرين...وخاصة لو كان الآخرين زوجتك".

."(نيَّرة) اهدئي".

أكملت وكأنها لم تسمعه:

. "كل ما أرادته هو ربتةٌ صغيرةٌ على كتفها، يدٌ حانيةٌ تمسح دموعها، ابتسامة رضا بعد يوم تعب، أو حتى نظرة تقدير بدون حروف، كانت بذرةً في أرض عجفاء، لم يهل عليها المطر يرويها، لم تمتد لها يد بشربة ماء تزهر عيدانها الجافة، هو...كان الرجل الخطأ في الوقت المثالي، كل جرمها أنها عاشت كل عمرها بانتظار هذه اللحظة، أن تشعر أنها محبوبةٌ...ربما تعتبر هذا الشعور رفاهيةً غير ضرورية....ولكن بالنسبة لها كان حلمًا ...مجرد حلم!"...

."صدقيني أنا لم أدنها قطّ!"...

أومأت بتعب:

."شكرًا....إلى اللقاء!".

أوقفها قبل أن تفتح الباب:

."انتظري....لم تخبريني...كيف عرفتِ المكعب الصحيح؟".

رفعتْ كتفيها بابتسامة شقية:

."لن تعرف أبدًا....بااااي.."!

obeikandl.com

المكعب الخامس عشر
(النهاية!)

كانت رحلةً طويلةً يا صديقي، رحلة حياة،
منذ كنت (برعما تراودك الأحلام)...
حتى وصلت لمحطتك الأخيرة،
آن الآوان أن تسلم المشعل وتستسلم لدورة الحياة،
أرجو أن تتذكرني ولو كومضة رسمت لك يومًا ابتسامة!

obeikandl.com

فوجئ (هشام) بالدكتور (بكري) يدخل معمله بصحبة مساعدته (نبيلة)، لم يكن تواجدهما سويًا في هذا التوقيت داخل معمله ما يثير الدهشة، ولكن وجهيهما كان يغمرهما كآبةٌ مقلقة:

."صباح الخير يا دكتور (هشام)!".

."صباح الخير يا (دكتور)...(نبيلة)..!".

كان يعرفها كما يعرف ظاهر يده، كانت ترغب أن تبدو طبيعيةً، ولكن تلك الحركات اللاإرادية التي تقوم بها تكشفها دائمًا، خاصة قضم شفتيها، وطرقعة أصابعها خلسةً خلف ظهرها وكأن لا أحد يراها...تبادل الأب وابنته النظرات الحائرة، راقبهما (هشام) ثم اتسعت ابتسامته:

. "أنا بمزاج رائع اليوم...وأية أخبار سيئة لن تؤثر بي، ألقيا بحملكما الثقيل...هيا!".

نظر الأب لابنته وكأنه سُقِطَ في يده، تنهَّدَ بصوت مسموع:

."(نبيلة)...اتركينا وحدنا من فضلك!".

أومأتْ بصمت وهَمَّتْ بالخروج، أوقفها (هشام) بنداء استغاثة في نبرةِ صوتِه، التقطتها (قرون) استشعارها الأنثوية فورًا:

."(نبيلة)...انتظري...".

تَهَلَّلَتْ ملامحُها وإن احتفظت بنظرة الضياع في عمق سواد عينيها:

."لا بأس (بابا)...سأبقى".

. "حسنًا...الموضوع أصبح أكثر خطورة من توقعاتنا، والتغاضي عنه سيزيد الأمور سوءًا!".

."عفوًا يا دكتور، لا أعلم عن...."

هدر (بكري)، كأنه يتخلّصُ من همٍّ ثقيل حمله طويلًا على عاتقه:

. "(هشام)، ليست (نبيلة) فقط التي لاحظتْ...كل طاقم المشفى من ممرضات وأطباء، حتى أفراد الأمن...لاحظوا...لاحظوا أنك تتحدث طوال الوقت مع...مع أشخاص وهميين!"...

قَهْقَهَ (هشام) بِتَفَكُّهٍ، غيرَ مُصَدِّقٍ ما يسمع:

."أنا...أنا أتحدث مع....هذا مضحك يا دكتور (بكري)...حقًا!"..

نظر لابنتِه التي لم تستطع مشاركة (هشام) الضحك:

."الموضوع خطير يا (هشام)!"

تَجَهَّمَتْ ملامحُه:

. "وكذلك الاتهام بالجنون يا دكتورة...أراهن أن الدكتور (حلمي) هو أصل هذه الفرية...(نبيلة) هل تصدقين هذه الافتراءات؟"...

."(هشام) أنا...."

تراجع مصعوقًا:

. "لا...مستحيل...أنتِ أيضًا في صفهم...يريدون تدميري، وسرقة اختراعي، ضاقت بهم السبل فلم يروي ظمأ حقدهم الأعمى إلا اتهامي بالجنون!"...

أَطرقتْ رأسها وتَمْتَمَتْ بخفوت:

."لقد رأيتك"..

."نعم...لم أسمعك"...

صرخت بانهيارٍ باكية:

."نعم رأيتك تتحدث معها!"...

بادلها الصراخ:

."مع من؟!".

. "لا أعرف...لا أعرف...دائمًا تكون بانتظارها، ثم تأتي، أراك تستقبلها...تتحدث معها...حتى أنك تصطحبها معنا في رحلات الذكريات"...

ورفع شعره بأصابعه بزفيرعالٍ، ثم صرخ بعد تفكير:

."لا أحد يدخل معملي ويصاحبنا في رحلات المكعبات سواكِ والدكتور (بكري) و(نيَّرة)"..

قَطَّبَ الدكتور (بكري) حاجبيه متسائلًا:

."(نيَّرة)...المريضة؟!".

هدر(هشام) بصوت فقدَ طاقته:

. "لا طبعًا...أقصد (نيَّرة) الحفيدة...لا أحد سواكم أنتم الثلاثة ...لا أحد"...

رأى الأب وابنته يتبادلان تلك النظرات مرة أخرى...ثم هتف الدكتور (بكري):

."(نيَّرة)...الحفيدة؟!".

. "نعم يا دكتور...أنت رأيتها عندما وصلت الأوراق موقعة من والدتها، ورأيتها عندما...."

توقف مذهولًا والدكتور (بكري) يهزرأسه بالنّفي:

."كلا...لم أرها"...

."ولكننا ذهبنا سويًا في إحدى الرحلات...تذكّر جيدًا يا دكتور!".

obeikandi.com

."(هشام)...أنا أتذكر جيدًا...ولا مرة وقعت عيناي على تلك الفتاة"...

التفت ل(نبيلة) مذهولًا:

."(نبيلة)...من المؤكد أنك رأيتها...لقد كانت معنا في عدة رحلات...وكانت تفتعل المشاكل في وجودك...لم تحبك وأنتِ..".

توقّفَ مرة أخرى و(نبيلة) تهزرأسها بدموع تسيل على وجنتيها بصمت...

دارحول نفسه لا يصدق ما يرى ويسمع:

."لا يمكن...مستحيل...كيف...تفعلون بي هذا؟!".

هتفت (نبيلة) بصوت مُتَحَشْرِجٍ:

."أَثْبت أنها موجودة وأنها ليست من صنع خيالك!"...

تلفَّت حوله تائهًا:

."ولكنها لا تأتِ بمواعيد ثابتة!".

."اتصل بها".

فَكَّرَقليلًا، ثم هتف بعينين زائغتين:

. "لم تعطني رقم هاتفها...قالت لي أنها...أنها ستكون موجودة عندما...أنتما لا تصدقاني...أليس كذلك؟!".

سألته (نبيلة):

. "كيف تلتقي بها؟ هل تأتي هنا، ألم تسأل عنك أي ممرضة...كيف تدخل ؟!".

فَكَّرَقليلًا ورفض الاعتراف بالشك الذي ساوره بشأنها، لَوَّحَ بيده:

. "لا...هذا لا يعني أيَّ شيء...لابد من وجود تفسير مقنع لوجودها هنا غيرأن تكون ...تكون...".

رَبَّتَ (بكري) على كتفه وبصوت الأب الوقور:

."نحن معك يا (هشام)، لا يساورك أي شك بهذا الأمر...إما أن تثبت أنها موجودة...وإما أن تعترف أنك تتخيلها".

ضرب بقبضتيه على مكتبه بعصبية:

."سوف أفعل يا دكتور...سوف أفعل يا (نبيلة)...وسترون".

مَرَّ أسبوع لم يغادر فيه معمله بانتظار ظهورها، وقد رسم سيناريو حفظَهُ عن ظهر قلب، عندما تأتي سوف يُمْسكها من يدها ويذهب بها لمكتب الدكتور (بكري) ليراها بعينيه، وسوف يراها كل من افترى عليه، وعندها لن يرحم أحدًا!...

ولكنَّها لم تظهر...مرة أخرى، يتجاهل ذلك الوميض...منذ عدة أيام بدأ أحدُ المكعبات يصدر وميضًا ...لم يثر هذا الأمر انتباهَه في البداية، حتى الأمس فقد صاحب الوميض صوتًا يشبه صوت الصفّارة الضعيفَ، ولشدة انشغاله وقلقِه بشأن من ينتظر، لم يفكّر حتى في الأمر، وها هو يعود مرة أخرى وميضٌ يصاحبُه صُفَّارةٌ...نظر لها وقد بدأ فضول العالِم يكسب خمولَ الإنسان اليائس المحبط، قام بتوصيل الأسلاك وإعداد مريضته، أخذ نفسًا عميقًا ثم أغمض عينيه، فتحهما بعد لحظات...أجال نظره فيما حوله...لقد عاد لبيتها، ها هي تجلس خلف مكتبٍ ويبدو أنها تدوّن مذكراتها، اقترب بهدوء ليفاجأ بها ترفع عينيها وتُحَدِّقُ به...نظر خلفَه لعلها تنظر لشيءٍ ما، ولكنها ابتسمت له:

."كنت بانتظارك"...

عاد ينظر خلفه مرةً أخرى حتى قطعت الشك باليقين:

."لا أحد هنا سوانا يا (هشام)...أنا وأنت فقط!".

."أنتِ...أنتِ ترينني؟!"...

. "نعم...الآن فقط أراك...في السابق كنت أشعر بوجودك...ربما يكون السبب أنني للموت أقرب من للحياة فأصبحت أكثر شفافية!"...

."هل...هل كنتِ تستدعينني؟".

شَقَّتْ ابتسامتها النقيةُ أخاديدَ الزمن على وجهها العجوز:

. "نعم فعلت...لقد شعرتُ بك...كنتَ بحاجة لي...فقررت أن أساعدك!".

."ولكن..كيف؟".

. "أنت مخترع ذلك الجهاز أيها الشاب، وليس أنا...أنا فقط استخدمت ما هو متاح لي"...

اتسعت عيناه بابتهار:

."رووووعة...هذا تطور جديد..ولكن لماذا لم تُفيقي من غيبوبتك بعد؟!".

."لنرجئ الإجابة على هذا السؤال لوقت لاحق...السؤال الأهم"..

فَكَّرَ قليلًا..ثم هتف:

."تذكرت...أين (نيَّرة)؟".

أشرقت عيناها بضحكةٍ جميلةٍ ثم نهضت من خلف مكتبِها واقتربت منه، أمسكت بيده...نظر ليدها وانتابته فورة حماسٍ ولهفة وهي تقول:

."هيا بنا!"...

تَغَيَّرَتْ المشاهد من حوله ليجد نفسه داخل مشفى...سار معها وهي تجذبه نحو غرفةٍ محددة...كانت الغرفة ممتلئة بأشخاص لا يعرفهم...ومن

بينهم كانت هي تجلس على مقعد بجوار فراشِ المريضة تحمل بين ذراعيها طفلًا وليدًا، وفرحةٌ كبيرةٌ تَغْمُرُ ملامحَها، أجابت على سؤاله:

."نعم هذه حفيدتي (نيَّرة)"...

ثم حَوَّلَتْ نظراتها للوحة التقويم على الحائط، تابع نظراتها باستغراب...مرة بعد مرة كان يقرأ الأرقام في لوحة التقويم (٢٢\٧\٢١٠٢) وفجأة فتح فمه بشهقة والإدراك يغزو أفكاره بصدمة كادت تفقده الوعي:

. "ولكن هذا يعني أن...أن (نيَّرة) الآن تبلغ من العمر....هذا مستحيل...!".

تغيرت معالم المكان..تلفت حوله لم يجدها...ولكن أين هو؟

ما هو أكيد منه أنه ما يزال في المشفى، اقترب من الفراش الذي يتوسط الغرفة، ليصدم بمفاجأة أخرى... هي ممددة أمامه...في غرفتها...اتجه نحو النافذة الزجاجية يتطلع لغرفة المعمل، ليرى نفسه جالسٌ في مكانه بجسده، وقد وضع مجسات جهاز مكعبات على رأسه.

. "ما الذي يحدث، وكيف يكون هو أحد ذكرياتها!؟".

."هل أنت مستغرب؟!".

التفت مصدومًا لمصدر الصوت

"لا يمكن أن تكون هي!".

ولكن عينيها المفتوحتين تؤكد عكس المنطق...

مدت يدها ورفعت (قناع الأكسجين) عن وجهها، تبادلا النظرات لبعض الوقت قبل أن تناديه:

."اقترب يا (هشام)".

obeikandl.com

أطاعها بذهول:

."نعم ...أنا...كنت تتمنى لقائي، لقد حققتُ لك أمنيتك...ماذا تريد أن تفعل؟".

."أنا...لا أعرف...لم أتصوّر أن يكون لقائي بك بهذا الشكل، في مكتبك، ثم يوم ولادة (نيَّرة)، والآن...هنا!"...

."ماذا تريد يا (هشام)؟".

أخرج زفرةً قويةً...ثم اقترب وأمسك يدها...ثم انحنى وطبع قبلة عليها:

."أنا آسف!"..

."أنت لم تخطئ بحقي لتعتذر!".

."آسف بالنيابة عن كل شخص مَرَّبحياتك وتسبب بجرح لك متعمدًا أو غير..

آسف عن كل دمعة سالت من عينيك، عن كل لحظة حزن عذبتك، عن عَجْرَفَةِ من ظن نفسه رجلًا على حساب أنوثتك!".

أومأتْ شاكرةً بابتسامةٍ:

."لن تعرف أبدًا كم عني لي كلامك هذا... .كل ما أرادته هو رَبْتَةٌ صغيرة على كتفي، يد حانية تمسح دموعي، ابتسامة رضا بعد يوم تعبٍ، أو حتى نظرة تقدير بدون حروفٍ، كنتُ كبذرةٍ في أرضٍ عَجْفَاء، لم يهل عليها المطر يرويها، لم تمتد لها يد بشربة بماء تزهر عيدانها الجافة!".

انتفض على صوت صفيرٍ قوي اخترق طبلتي أذنيه...خلع عنه أسلاك المكعبات وركض باتجاه النافذة الزجاجية...يراقبها بصدمة وفكرة مرعبة تهتك أي منطق يعرفه، كانت تحتضر!..

obeikandl.com

ركض فريق الأطباء لغرفتها يحاولون إعادةَ إحياءِ قلبِها...وبعد ربع ساعة من المحاولات الدؤوبة، خرجوا خائبين، راقبهم بانهيار تام من مكانه خلف النافذة يغادرون، ولأول مرة يشعر بمذاق دموعِه المالحة.

."(هشام) أنت مصر على الذهاب؟".

."نعم يا (نبيلة)!".

."ولكنهم لا يعرفوننا...وربما ...".

."(نبيلة) سنذهب، وبعد عودتنا سأوصلك لبيتك وأذهب معك".

."لماذا؟".

."لأخطبك بالطبع!".

شَهِقَتْ من الفرحة:

."هل أنت جاد يا (هشام)؟".

."أحيانًا أحاول إعادة التفكير!".

صرخت وهي تضع يدها على فمه:

."لا، أرجوك...سأذهب معك لعزاء السيدة (نيَّرة) وبعدها لن تهرب مني أبدًا...هيا بنا"...

رغم مقابلة العائلة الفاترة لم يظهر على (هشام) أي تأثر، ولكنه أخذ يجيل النظر فيمن حوله كأنه يبحث عن أحد ما...

."(هشام) لقد أطلنا البقاء، الناس ينظرون إلينا باستغراب".

."حالًا يا (نبيلة)!"...

."لو تخبرني عن ماذا تبحث!".

."عن من يا (نبيلة)...أها...ها هي...نادي تلك الصغيرة هناك"...

obeikandl.com

."وبِمَ أناديها وأنا لا أعرفها؟"...

."ناديها باسم جدتها"...

حدجته بنظرة مستغربة فأومأ لها أن تنفذ فورًا..

أطاعته ونادت الطفلة التي اقتربت منهما...حملها (هشام) غير عابئٍ باستنفار أمّها:

."هل اسمك (نيَّرة)؟".

هَزَّتْ الطفلة رأسها وعيناها تلتمعان بشقاوة:

. "وأنا اسمي (هشام)...ربما لا تعرفينني...ولكنني أعرفك جيدًا...في أي مدرسة تدرسين؟"...

أخبرته بصوت قوي:

."الأمريكان"..

."رائع...(نبيلة)..تذكري اسم المدرسة، سوف نقدم لأولادنا فيها"...

صرخت بفرحة متناسية حقيقة وجودهم في عزاء:

."أولادنا يا (هشام)".

."أخفضي صوتك يا مجنونة"..

أمسكت بذراعه تجذبه بلجاجة:

."ما رأيك أن تأتي لتخطبني أولًا..وتترك الصغيرة قبل أن تقتلنا أمُّها...ثم تخبرني عن الحكاية كلها"...

. "حاضر...(نيَّرة)..سنلتقي قريبًا لقد أوصتني جدتك عليكِ...كوني بخير من أجلها...إلى اللقاء، هيا بنا أيتها المزعجة!".

obeikandl.com

انتظرت حتى ركبا السيارة، والتفتت له بانزعاج:

."والآن أخبرني عن قصة (نيَّرة) الطفلة...وكيف عرفت أن لديهم طفلةً بهذا الاسم، وما حكاية جدتها التي أوصتك بها وهي لم تُفِقْ من غيبوبتها حتى ماتتْ، ثم حاول إقناعي مرة أخرى بمدرسة الأمريكان لأولادنا!".

."أي أولاد يا (نبيلة)...أنا لم أخطبك بعد!"...

(تَمَّتْ بِحَمدِ الله)

(ميرفت البلتاجي)

obeikandl.com

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذو جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017

obeikandl.com